

تجديد الخطاب الدعوي ومواجهة
الانحراف الفكري دراسة نقدية
Renewing the advocacy
discourse and facing intellectual
deviation / Critical study

إعداد

د. خلف محمد متولي

أستاذ مساعد العقيدة والمذاهب المعاصرة بالجامعة

الإسلامية - منيسوتا .

دكتوراه العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة

الإسلامية .

عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

khalafelmetwaly@gmail.com

00201152823855



المُلخَص :

إن الدعوة الإسلامية تمثل العمود الفقري لهذا الدين الحنيف فيها بلاغ الهدايات الإلهية للناس والدعوة شأنها شأن الوسائل التي لها أحكام المقاصد ولأن الدين الإسلامي يصلح لكل زمان ومكان في مرونة وسعة فلا بد أن يقوم فينا داعية لتجديد الخطاب لكي يواكب هذه المرونة وحينما ينحرف الناس عن روح الشريعة تكون الدعوة أحوج للتجديد لدفع الانحراف فكانت هذه الدراسة تسعى لذلك فالفصل الأول يناقش المفاهيم وما يحوم حولها من مسائل فناقش الفصل الأول مفهوم الدعوة والخطاب فكانا بمعنى النشر وأنها علم كسائر العلوم والخطاب يعني انعكاساً لأفكار ورؤى والترابط بينهما تلازمي والخطاب لا بد أن يكون مع أصالته معاصراً ثم عرضنا ضرورة التجديد للخطاب الدعوي لأنه يتأسس على مسائل وهي طبيعة الإسلام وذاتية التجديد فيها وكذلك الواقع المتأزم بالأفكار المتناقضة وكذلك إمكانية الربط بين الحاضر والمستقبل ثم تم عرض نوعي التجديد المقبول والمرفوض أما المبحث الثاني فهو الجانب التطبيقي للتجديد من خلال بيان الانحراف الفكري ومجالاته وأسبابه وكيف يستطيع مقاومته بالتجديد للخطاب فعرضنا أهمية الفكر المستنير وخصائصه وسماته ثم ميادين الفكر الإسلامي ثم عرضنا تجديد الخطاب الدعوي ومناهضة التطرف مع بيان معاني التطرف والانحراف وأنواعه مع ذكر سمات المتطرف وبذور التطرف وتوابعها قديماً وحديثاً فعرضنا لفتنة الخوارج وكذلك التكفير وموانعه وظهور الجماعات المتطرفة وكيفية مواجهتها بالتجديد الدعوي .

الكلمات المفتاحية : دعوة - خطاب - تجديد - تطرف - فكر



Abstract

The Islamic call represents the backbone of this true religion, as it contains the communication of divine gifts to people, and the call, like the means, has the provisions of the purposes. I need renewal to push the deviation, so this study seeks to do so. The first chapter discusses the concepts and the issues hovering around them. The first chapter discussed the concept of advocacy and discourse, so they were in the sense of publication, and that it is a science like all other sciences, and discourse means a reflection of ideas and visions, and the interdependence between them is inseparable, and the discourse must be contemporary with its originality. Renewal of the preaching discourse because it is based on issues, which are the nature of Islam and the self-renewal in it, as well as the reality crippled by contradictory ideas, as well as the possibility of linking between the present and the future. Then the two types of acceptable and rejected renewal were presented. So we presented the importance of enlightened thought, its characteristics and features, then the fields of Islamic thought, then we presented the renewal of the preaching discourse and the fight against extremism, with an explanation of the meanings of extremism and deviation and its types, with mentioning the characteristics of the extremist and the seeds of extremism and its consequences, old and new.

Keywords: invitation - discourse - renewal - extremism - thought



مقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله على فضله وإنعامه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله صلاة وسلاماً يبلغ بها العبد رضوان الله في حاله ومآله وبعد ،

إن من سمات هذا الدين الحنيف وهي من أعظم سماته وعامل بقاءه هي صلاحيته لكل زمان ومكان فأينما حل في بقعة من الأرض أزهرت وأينعت لا لشيء إلا لأنه الشريعة الخاتمة والملة الباقية إلى قيام الساعة ، وهكذا كتب الله تعالى لهذه الملة الحنيفية والدعوة الإلهية الخاتمة وقد قام بموجب هذا الكتاب القدرى الكتاب الشرعى فأمر الله تعالى نبيه بالدعوة إلى هذه الرسالة الخاتمة بأوامر مباشرة تشي بعظمة الدور الموكل إليه وكذلك تؤكد على أمر بالغ الأهمية وهو أن هذه الرسالة قوامها وساقها وعمودها الفقري هي الدعوة فبالدعوة سارت الركبان إلى أقاصي البلدان يبلغون دين ربهم للناس ناقلين تعاليم السماء السمحة إلى العرب والعجم إلى الإنس والجن ، وقد أمر الله سبحانه وبحمده نبيه عليه الصلاة والسلام بالدعوة فقال : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين » (المائدة ٦٧) ، وقال تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (النحل ١٢٥) ، وقال تعالى : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم » (الحج ٦٧) ، وقال تعالى : « ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين » (القصص ٨٧) .

وإن المطالع لهذه الآيات ومثيلاتها في الأمر بالدعوة إلى الله تعالى وبيان الحق للخلق سيجد أن الداعي إلى الله تعالى لا ينبغي أن يحجبه أو يحجزه عن الدعوة شيء مطلقاً وكذلك ينبغي أن يكون كل الدعاة

والمصلحين في هذا الزمان وغيره من الأزمان أن يحملهم تبليغ الحق إلى الناس مهما كانت مخالفة الناس ومهما كان صدودهم ومهما كان انحرافهم بل يسعى الداعي قدر طاقته إلى إصلاح الكون من حوله لا يلوى على شيء إلا إنقاذ الناس ودعوتهم إلى ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ومن هذا المنطلق قام النبي صلى الله عليه وسلم بواجب الدعوة إلى الله تعالى وخلفه أصحابه المكرمون الأجلاء فساروا على دربه فأصلح الله بهم العباد والبلاد وانتشر نور الرسالة على أيديهم وبلغت الدعوة بهم الأفاق وسطع نور الرسالة المحمدية على ربوع العالم بأسره .

إلا أن هذه الدعوة الإسلامية لم تبلغ ما بلغت حتى جابت الكرة الأرضية فلا تجد بقعة من العالم إلا وصلها هذا الدين وتعاليمه فمنهم من قبلها ومنهم من أنكرها إلا أن المحصلة النهائية أن هذه الدعوة أثمرت بسواعد رجال عرفوا كيف تكون الدعوة وكيف يكون البلاغ أي كان عندهم ما يسمى « بفقهِ الدعوة » ومعرفة حال المخاطب ومراعاة الزمان والمكان وتخير أحسن الألفاظ وأوفق العبارات وأرفق الكلمات بفهم ودجة وحكمة وبهذا أذن الله لهذه الدعوة الإسلامية أن تبقى إلى يوم الناس هذا شاهدة على عظمة هذا الدين أولاً ثم عظمة هؤلاء الدعاة المخلصين الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأعلام من أئمة أهل الإسلام ومن نحا نحوهم من بعدهم وهذا ما سنخرج عليه إن شاء الله تعالى في هذا البحث المبارك ولكي نصل إلى تمام هذا الموضوع ونبلغ شاؤهُ وأم رأسه لابد من وضع خطة البحث ومنهجه ومكوناته .

عنوان الدراسة : « تجديد الخطاب الدعوي ومواجهة الانحراف الفكري دراسة نقدية » .

أهمية الدراسة : تكمن في الكشف عن حاجة الأمة إلى تجديد الدعوة والخطاب لمجابهة الانحرافات الفكرية والسلوكية خطيرة النتائج والمآلات على الإسلام وأهله .

منهج الدراسة : ولمعالجة أمثال هذه الموضوعات نلتزم في دراستها

المنهج النقدي والوصفي فنحاول وصف المشكلات وتحديدتها ومن ثم الوقوف على مواضع القصور والنقص والخلل ثم بعدها نقوم بتفكيك هذه العناصر ومحاولة إيجاد الحل الأمثل , ولكي نركز البحث حول بحوث منهجية فيها تتبدى الحقائق لأئحة واضحة سنعالجها من جهتين :

الجهة الأولى : مراعاة طرائق الأكاديميين المنصفين الواقفين على حقائق الأشياء وماهيتها وينبغي أن تكون تلك الدراسات وهذه البحوث أكاديمية راسية معمقة تعالج القضايا من خلالها بصورة كاشفة للعوار وعارضة للذلول .

أما الجهة الثانية : هي نتاج عملي لتلك المقدمة التي سبقتها وهي تتمثل في إسقاط الأمور على الواقع كي نعالج هذا القصور الواقع بعيداً عن النظرات المثالية أو غير واقعية .

إشكالية الدراسة : تتمحور الإشكالية في صعوبة تعاطي مثال تلك القضايا لأن الدعوة والخطاب أصبعا يعانيان فراغاً وضموراً في الواقع والتنظير على السواء مما يجعل المهمة صعبة وشاقة عند المعنيين بتلك المسائل والقضايا مع الحرج الذي ينتاب البعض عند الحديث عن التجديد والانحرافات الفكرية .

تساؤل الدراسة : إن تساؤلات الدراسة الملحة هي

أولاً : هل الدعوة تحتاج إلى تجديد ؟

ثانياً : هل في الدعوة مقومات ذلك التجديد ؟

ثالثاً : هل تستطيع أن تكبح الدعوة جماح الانحرافات الفكرية ؟

الدراسات السابقة (بيلوغرافيا الدراسات المتقاربة) :

لقد حظى موضوع التجديد في الدعوة والخطاب بحظ وافر من الدراسات وسأعرض منها ما كان قريبا من موضوع الدراسة :

● **رعد حميد توفيق :** تجديد الخطاب الديني المعاصر وانعكاساته على الأمن الفكري للمجتمع بين التكيف السياسي والتوظيف الشرعي ويناقدش البحث قضية تجديد الخطاب الديني المعاصر من خلال

النظر إلى التيارات السياسية واتجاهاتها من خلال الحياة السياسية والحزبية وهيكلية البحث كالاتي :
المبحث الأول : الفرق بين التجديد الشرعي والتحريفي والمقصود بالأمن الفكري .
المبحث الثاني : التكيف السياسي لتجديد الخطاب الديني .
المبحث الثالث : تجديد الخطاب الديني ومقارباته التطبيقية على الواقع العراقي .

وبعد عرض المباحث ومطالعة هذه الدراسة تبين أن هذه الدراسة قريبة من الدراسات السيسولوجية لا الدراسات الفلسفية الفكرية فالشق الثاني من عنوان الدراسة يناقش الأمن الفكري والذي هو اجراء تربوي ووقائي وعقابي لحماية الوطن والمواطن داخليا وخارجيا .

وفي بحثنا - الباحث - كانت دراستنا تعرض للفكرة وتناقشها فتكشف العوار الحاصل في المفاهيم والأفكار .

وفي المبحث الثاني : ناقش - رعد توفيق - التوظيف السياسي لتجديد الخطاب الديني فكان تجديد الخطاب الذي يريد متعلقا بالتيارات الإسلامية السياسية وهذا خلاف ما عليه بحثنا المتطلع للتجديد بصورته العامة التأصيلية لذلك لم يتعرض بحث - رعد توفيق - إلى مصطلحات الدعوة والخطاب والتي عرضناها في بحثنا مع بيان مدى تعلق هذه الاصطلاحات بضرورة التجديد الدعوي للخطاب وهذا اختلاف واضح بين نظرتنا ونظرتنا , وحينما تعرض بحث رعد لبيان معنى التجديد أسقطه على جماعات حزبية وسياسية بخلاف بحثنا الذي تعرض لمفهوم التجديد من حيث هو كروية مستقلة ثم دور هذا التجديد في رد الانحراف الفكري .

وفي الفصل الثالث أظهر الباحث - رعد - الاختلاف صريحا مع بحثنا حينما خص رؤيته في التجديد في بيئة خاصة وواقع محدد وهو الواقع العراقي وفي بحثنا كان الحديث تأصيلا للمسائل والقضايا التي حصل فيها انحراف ولذلك ناقشنا مفهوم التطرف وكذلك

الانحراف الفكري وسمات الفكر السليم فتم اسقاط ضرورة التجديد للخطاب الدعوي على تلك المفاهيم المنحرفة وبذور التطرف قديما وحديثا وفكر الخوارج وفتنة التكفير وكذلك أسباب ظهور الجماعات المتطرفة ، ولكي يظهر الفرق جليا بين دراستنا ودراسة - رعد - يكفينا النظر إلى قائمة المراجع والمصادر لنجد أن هناك اختلافاً كلياً وجذرياً بين مراجع بحثنا ومراجعته لنصل إلى نتيجة نهائية أن بحثه بخلاف بحثنا في موضوعه وطبيعته وعناصره ومعطياته وكذلك مخرجاته .

● **محمد شاكر الشريف** : تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف

، مجلة البيان ، ١٤٢٥هـ ، ط ٢

عرض فيه الفصل الأول : التجديد من الناحية التأصيلية وفيه ضوابط التجديد وحدوده وجهود المجتهدين والفصل الثاني : التجديد من الناحية التحريفية وتناول طريقة المجددين العصرانيين ثم عرض لمراحل الانحراف التجديدي ثم أعطى نماذج لتلك الانحرافات فهو وإن كان موضوعه موضوعي عنوانا واسما إلا أنه يختلف معه حقيقة ومحتوى إذ أنه لم يتطرق إلى علاقة التجديد برد الانحرافات الفكرية إلا أنه عالج قضية الانحراف في مسألة التجديد ذاتها ولا يخفى الفارق بينهما عند النظر الكاشف عن موضوعات كلا الباحثين .

● **د/ محمد عمارة** : الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد

الأمريكاني ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، القاهرة . وقد ناقش الدكتور عمارة قضية التجديد من حيث هي فناقش قضية التجديد في الإسلام من حيث هو سنة وقانون ثم تنوع وتعدد الخطاب الديني في الإسلام ثم تعرض للتبديد الأمريكي للتجديد الإسلامي والفجور العلماني من حيث حده الأعلى والأدنى والتأويل العبثي للدين وعلمنة الإسلام ولذلك فهذا البحث يعيد عن ماهية بحثنا هذا من حيث العناصر والأفكار ثم الطريقة والمسار

● وهناك دراسات أخرى تتعلق بموضوع بحثنا من حيث العنوان

إلا إنها تختلف معه في مضمون البحث أو طريقة المعالجة أو أنها تختلف في الاثنيين معا إلا أنه لم يقع تحت يدي عنوان أو مضمون



كالبحث الذي بين أيدينا أي لم أجد بحثا يعالج قضية تجديد الخطاب الدعوي وعلاقته برد الانحراف الفكري وقضايا التطرف والتي نالت من الإسلام ذاته وشوهت صورته وألبت عليه أعداءه .

فالخلاصة : أن دراستنا التي بين أيدينا متفردة في عنوانها وموضوعها ومنهجها حيث إنها عالجت قضية التجديد للخطاب الدعوي من خلال ضبط الانحراف الفكري والقيمي الحاصل .

أما عن خطته وهيكلته فستكون كالآتي :-

المقدمة : وهذا بيان ما فيها ثم مبحثان :

المبحث الأول : بعنوان : مفهوم الدعوة والخطاب وضرورة التجديد الدعوي .

المبحث الثاني : بعنوان : الانحراف الفكري مجالاته وأسبابه وطرق علاجه .

ثم خاتمة وأهم النتائج ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع

الفصل الأول : مفهوم الدعوة والخطاب :

مما لا شك فيه إن الدعوة الإسلامية هي محور من أهم محاور انتشار هذا الدين الحنيف ، والدين بغير دعوة يفقد كثيراً من تأثيره في المدعوين لذلك كان الخطاب القرآني ينادي بوجوب الدعوة في حق النبي عليه الصلاة والسلام وفي حق اتباعه من بعده فقد قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (النحل/ ١٢٥) .

ويبين الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه أن الدعوة هي سبيله وسبيل اتباعه من بعده لا انفكك منها ولا تخلي عنها فقال تعالى : « قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » (يوسف / ١٠٨) .

فالدعوة هي وسيلة من وسائل إقامة هذا الدين ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يبعث أصحابه رضوان الله عليهم إلى البلدان ليعلموا الناس أمر دينهم بحكمة وموعظة حسنة لعلمه عليه السلام أثر الدعوة في نفوس المخاطبين ولكي نجلي أهمية الدعوة فلنتعرض لبعض مفاهيمها التي تعكس أهميتها وخطورها .
وهناك عدة تعريفات للدعوة منه :

١-الدعوة تعني في الغالب : « نشر فكرة معينة بهدف إقناع الآخرين بها مستخدمين في ذلك الحجج والمنطق والتفكير العلمي السليم وهذه الفكرة غالباً ما تكون ذات مضمون ديني أو عقائدي أو سياسي معين » .

٢-الدعوة تعرف بأنها أسلوب من أساليب التأثير في الرأي العام لإحداث نوع من الإقناع الذي يستند على قاعدتي : الصدق والإيمان وهي ترفض الكذب لأنها عبارة عن حديث موجه عن عقيدة معينة إلى من يمكن أن يؤمن بها أو هو مؤمن بها بالفعل^(١) .

١- انظر محي الدين عبد الحليم وآخر : محاضرات في الإعلام والدعاية ، الاتحاد التعاوني للطباعة ١٩٩١م ، ص ١٤.

ومن خلال تعريف الدعوة يتبين بجلاء أن الدعوة هي عمود الدين الفقري الذي به تستقوى ويستند بها ساعدها ومن خلالها تبني أركانها وتشيد أبنيتها وبدونها تصبح الشريعة بحاجة ماسة إلى من يحملها وينقلها للجماهير كي تستفيد منها ومن أنوارها البهية لأن الحقيقة إن الدعوة تمثل الإسلام فموضوعها الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة المطهرة^(١).

والدعوة إلى الإسلام تعني المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إليه وهذا قريب من معنى الدعوة في اللغة فيذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة في باب الدال والعين وما يثلثهما «دعو» الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك^(٢) .
والدعوة لها معنيان آخران :

الأول : بمعنى النشر : ونعرفه بأنها العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية والمتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق وعلى ذلك فإنها علم كسائر العلوم له قواعده وله موضوعه المتعلق بتعليم الدعاة كافة المحاولات المركزة الهادفة إلى تبليغ الإسلام ، والمحاولات القولية كالخطبة والدروس أو فعلية كالقدوة والطاعة لدين الله .
وهي فنية لأنها تراعي جانب التطبيق النظري وتلحظ عمليات التأثير في نفسية المشاهد والمستمع وهي متعددة لأن بعضها متجه إلى العقل وبعضها متجه إلى العاطفة والوجدان وهي هادفة وهدفها نشر دين الله وتبليغه إلى الناس أجمعين .

الثاني : وهو تعريف الدعوة بعدة تعريفات وهو تعريفها كدين :-
● فالدعوة الإسلامية هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط .

١- انظر عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، ط٠٠ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٧ = منصورى الرفاعي عبيد : المنبر وأثره في اتجاهات الرأي العام ، دار الجبل - بيروت ، ط١ / ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ١١ .
٢- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة / ت/ عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د/ت) ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .



- والدعوة الإسلامية هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية .
- والدعوة الإسلامية : هي النظام العام والقانون الشامل لأمر الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة^(١) .

وإننا نرغب في هذه التعاريف ونلاحظ أن الدعوة الإسلامية هي بمثابة اليد وأصابعها لا يتصور أن تكون اليد بلا أصابع وكذلك تلك الشريعة الخاتمة لا يتصور أن تكون بلا دعوة وتبليغ وبلاغ . وكذلك التعاريف السابقة تضع أيدينا وأيادي القائمين على الأعمال الدعوية أن الدعوة بشمولها ورحابتها تشمل الدين كله والأخذ بها في الحقيقة هو إرساء لقواعد هذا الدين وتمكين لشريعة رب العالمين بين الناس ولذلك فالحاجة تكون ملحة أن تجدد الدعوة والخطاب وذلك بإظهار سماحة الإسلام وحضارته الشامخة .

فالدعوة علم كبير يحتاج إلى تكاتف العلماء والدعاة والمصلحين لإرساء دعائمه ونظرياته وكذلك ضبطه بقواعد وأسس يقوم بها ويقوى ولذلك يعرفها بعض الباحثين بأنها : « فن إعلام الأنام بدين الإسلام وحضهم على الإيمان بالله وباقي الأركان والأمر بالتزام الشريعة وتعليمهم الدين وتربيتهم عليه وبالأساليب الشرعية الممكنة وحثهم على تطبيقه في جميع مناحي الحياة لصالح حالهم في العاجل والآجل^(٢)»

فهي في الحقيقة فن لا يحسنه الكثير من الناس إلا من وهبه الله تعالى حكمة وأسلوباً ونضجاً فكرياً وعلمياً لكي يعلن الناس ويعلمهم بجماليات هذا الدين القويم ثم يقذف بدعوته إلى قلوبهم قذفاً فتفتح

١- انظر أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، دار الكتاب المصري - القاهرة ، ط ٢٠٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٠-١٣ .
٢- محمد شريف كمال مشوح : فقه دعوة غير المسلمين ورعاية المسلمين الجدد ، دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة ، رسالة دكتوراه في الدعوة ، دار العراب - دمشق ، دار نور حوران - دمشق ، ط ٢٠١٦م ، ص ٣٥ .

قلوبهم إلى قبول ما يدعو إليه من الإيمان بالله وحده سبحانه ثم ما يتبع ذلك من التزام المدعو بتعاليم السماء التي جاء بها القرآن الكريم وعلى لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك الدعوة في الواقع إذا أريد لها القبول والانتشار فهي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام وتعاليمه وشرائعه إلى الناس كافة ولكن وفق الأسس والمنهج الصحيح وبما يتناسب مع أصناف واختلاف المدعوين مع ملاءمته لأحوالهم وظروفهم^(١) .

والدعوة الإسلامية هي دعوة إعلامية بامتياز إذ إن الدعوة والإعلام يلتقيان عند من يرى أن الإعلام الإسلامي ما هو إلا أداة من أدوات الدعوة الإسلامية ، وفي ذلك إيعاز بأهمية الوسائل الإعلامية المتاحة لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى لذلك يعرفها د/ محي الدين عبد الحلیم دامجاً بين الدعوة والإعلام معرفاً الإعلام الإسلامي بأنه : « تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي ، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته»^(٢) .

بل يرى الدكتور محي الدين عبد الحلیم أن الإعلام في تعريفه يساوق الدعوة وينظرها فيقول : « وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام نجد أنه يكاد يكون متطابقاً مع مفهوم الدعوة بمعناها الاصيل فالإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات»^(٣) .

فقضية الدعوة حافلة بكثير من المهمات فالدعوة ليست أمراً ثانوياً

١- انظر حامد معارض عطية الله : المباحث الدعوة من خلال مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء - السعودية ، ط ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م ، ص ٨٥ .

٢- محي الدين عبد الحلیم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، دار الرفاعي - الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ايداع ٧٩/٥٢٠ ، ص ١٤٧ .

٣- المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

في الدين الإسلامي والشريعة الخالدة حتى يمكننا التغاضي عنه بل هي أصل أصيل من أصول تبليغ ووسائل نشر هذا الدين . وكذلك تكمن أهميتها وروعها أنها تتعاضم بتعاضم ما تدعو إليه من شرف وفخر وعظمة وهي فن وعلم وقواعد لزاما على القائمين على أمرها أن يقدروا الأمر قدره وإلا ستكون الدعوة مجرد شيء هامشي لدى المدعويين أو أن تكون ذا رتبة بلا فاعلية أو معايشة لواقع الناس ، وإذا لم يحقق الداعية إلى الله تعالى هذه الأهداف فهو في الحقيقة ، قد أساء إلى ذلكم المقام الشريف المنيف الذي هو مقام الأنبياء والمرسلين والعلماء .

فإما أن تؤخذ الأمور على وجهها بحثاً ومعرفة وتنظيراً وتقعيداً ومن ثم تطبيقاً عملياً فعلى المرء أن يستغنى ويترك المجال لمن هو أدق بذلك منه لأن إساءته للدين ستكون عظيمة والمآلات غير محمودة فكم من أناس اهتزت صورة الدين في عقولهم بسبب بعض الدعاة غير المؤهلين علمياً أو فكرياً أو حتى سلوكياً واجتماعياً بسببهم بعض الناس أصابه انحراف وذلك لأن دعوة هؤلاء لم تلبى رغبات وحاجياتهم لا نقول رغباتهم المنحرفة أو شهواتهم غير المضبوطة وإنما هي دعوة لم تستطع أن تسد جوعه من يريد أن يتعرف على سماحة الدين والشريعة فلما لم يجد بغيته انصرف ولكن لم يكن انصرافه إيجابياً بل كان سلبياً عكسياً فبدلاً من أن يكون على طريق الصالحين يمينا إذ به يتعوج فيكون في أقصى اليسار انحراف وانتكاساً فهلا علم الدعاة أن دعوتهم تحي أناساً وقد تدمر آخريين ويا ليت هذا القول كان مجازفة أو مبالغة لكانت الهموم حينها مندثرة مندثرة إلا إن الذي نلمسه في طريق الدعوة الجماعية أو الفردية ونعايشه مع الناس مباشرة يوحى بجسامه الأمر وخطورته فكم من أناس كانت الكلمات بمثابة إشعاع نور لهم في وسط عتمة وظلمة كالحدة وكم رأينا بأم أعيننا أناس قد فقدوا البوصلة والقُدوة بسبب بعض الدعاة غير المسئولين عن سلامة هذا الدين وشرائعه فبغضوا الناس في التدين وجعلوهم ناقمين على الدين بعد ما صار بالنسبة لهم بسبب

ضحالة بعض الدعاة كأنه أصار وأغلل وعنت وشدة وغابت عنهم محاسن هذا الدين وكأنهم لم يسمعوها بها وكان السنة النبوية المشرفة غير مكتظة بأمثلة السماحة والعفو واللين والرحمة والتؤدة والشفقة ، وإنه لبلاء شديد أن يعيش الناس تحت سطوة داعية يبغض لهم الدين ويشدد عليهم مع يسر الشريعة الظاهر البادي لكل ذي عينين ، والحق الذي لا محيد عنه هو أن التشدد في الأخذ بالأقوال إنما ينشأ عن جهل بقراءة مقاصد هذه الشريعة بل نقول إنه جهل بقراءة النصوص ولى لأعناقها لكي توافق أغراض بعض الحزبيين والمذهبيين والتيارات المنحرفة هنا وهناك .

ولذلك رحم الله الشيخ الغزالي حينما عرض الدعوة في موطنها اللائق بها قائلاً : « والدعوة إلى الله ليست صيحة مبهممة أو صرخة غامضة إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين وقد تتغاير العصور في أنصبتها من الارتقاء المادي والقوى الذهنية والعاطفية لكن الإنسان في أي جيل لا يعدم من هداية الله ما يكفيه ويغنيه» .^(١)

والدعوة إلى الله تعالى لابد فيها من وضوح وسلاسة وعمق ولين وحزم وتؤدة ولن تحقق الدعوة الإسلامية نتائجها المرجوة حتى تتحقق رجال يفهمون قضية الدعوة بأنها تصحيح مسارات الناس والمدعوين وطلب استقامتهم وهذه منة يستشعرها من يعايش دعوة الناس بصورة مباشرة فتهلل أساريره حينما يرى أثر دعوته قد أثمر وأنتج أثرا طيبا في المدعوين.

وحينما يحقق الداعية حسن التواصل والتفاعل في دعوته لن يهدأ له بال بحثا ودراسة عن أساليب وطرق جديدة تقود الناس إلى ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد .

وعظمة هذا الذي ذكرناه أنفا يتجلى في سيرة الصحابة الكرام الذين بذلوا الغالي والنفيس في إيصال دعوة الحق إلى الخلق لم يلوا على

١- محمد الغزالي : مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة) ، مشيخة الأزهر الشريف ، مكتب إحياء التراث الإسلامي ، فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ط ٢ ، ١٤٤١ / ٢٠٢٠م ، ص ٢١.

دنيا او محبة مدح وثناء أو جمع مال أو متاع بل هداية الناس كانت هي التي تحملهم وذلك لأنهم التزموا نهج النبي الأكرم الذي حينما مر على اليهودي الشاب وهو يحتضر فلما عرض عليه السلام عليه الإسلام وآمن به خرج وقد تهلل وجهه فرحاً وغبطة وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة فضل ما يسعون إليه من دعوة الناس وهدايتهم حينما قال لهم : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

مفهوم الخطاب : ومما يتعلق بمفهوم الدعوة مفهوم الخطاب الديني وهو مصطلح صار يتردد كثيراً في الآونة الأخيرة على أسماع الناس ، مصطلح أصبح مما ينشغل به المعنيون بالدعوة والعلم والإصلاح لأن غالبية الناس ضجوا من خطابات مكررة حيناً وممبوجة حيناً آخر ومتناقضة أشد التناقض أحياناً أخرى ، وفي ذلك يقول دكتور إبراهيم صلاح الهديد : « في الحقيقة نحن أمام خطابات دينية متعددة وقل - إن شئت - متعاندة وليس هذا بجديد على الأمة فلقد وُجدت الخطابات الدينية المتعددة منذ العصر الأول بين خطاب انغلاق فهمه عند ظاهر النص دون فهم المقاصد والسياقات وترتب على هذا الخطاب المنغلق تكفير المخالف وترتب على التكفير إبادة الدماء والأعراض وظل هذا الخطاب بين نشاط وفتور على طول التاريخ ينزوي في زمان وينشط في آخر...»^(١)

والحق أن الخطاب الدعوي الآن يعكس حالة من التشطي والتفرق واعترافنا بذلك ليس إنجفلاً عن السياق المطلوب من الدعوة بقدر ما هو معالجة واقعية لواقع دعوي متأزم فالدعوة تتلقفها خطابات متعددة منها أقصى اليمين ومنها أقصى اليسار ومنها الوسط . ومن معاني الخطاب أنه انعكاس لأفكار ورؤى معينة ، « فإن الخطاب هو مرادف لتصور أو موقف لشخص أو جماعة بشأن قضية مطروحة وهو بذلك يعد تعبيراً عن أيديولوجية الأفراد والجماعات باعتبار أن الأيديولوجية مجموعة منتظمة ومترابطة من الأفكار والأحكام

١- محمد الغزالي : مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة) ، مشيخة الأزهر الشريف ، مكتب إحياء التراث الإسلامي ، فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ط ٢ ، ١٤٤١ / ٢٠٢٠م ، ص ٢١.

والمعتقدات الخاصة بجماعة ما في نظرتها للواقع والجماعات الأخرى ويعتبر تعدد الخطابات تعبيراً عن صراع أيديولوجيات متنافسة وتكون الدعوة هي السبيل لإبراز ذلك الخطاب باعتباره المنتج النهائي^(١)، فالدعوة الإسلامية ليست بمنأى عن تصارع تلك الخطابات المتعددة حينا والمختلفة حينا آخر والواجب على دعاة الوسطية التمييز بين تلك الأنواع المختلفة من الخطاب لأن أمثال تلك الخطابات لو تركت هكذا لكي تفرخ في أتباعها مضامينها سيكون من الصعوبة الحقيقية اقتلاع تلك الأفكار من أدمغة الناس إلا بجهد كبير أولى به - أي هذا الجهد - إقامة عقول الجماهير واستقطابها في محضن دعوي سليم الغاية والمقصد والمأرب صحيح الوجهة والمأخذ بعيداً عن بُنيات الطريق وبعيدا عن دعاة الجهالة والضلالة والفتنة، ولذلك فإن ارتباط الدعوة بمفهوم الخطاب هو ارتباط تلازم فهو : عبارة عن مجموعة من الأفكار والرؤى، والخطاب هذا قد يكون صورة أو فكرة أو إعلاما تلفازيا أو أفكاراً وأيديولوجيات .

ولكي نسلك بالخطاب الإسلامي المسلك الصحيح والمنهج القويم « فإن الخطاب الإسلامي يتعلق باليات نقل الفكر الإسلامي وتكييفه ومعالجته لغوياً ودعوياً وإعلامياً لكي يلائم الوسائل والطرق والتقنيات المستخدمة لتوصيله إلى الجماهير سواء كانت هذه الوسائل خطبة الجمعة أو درس ديني أو صحيفة أو برنامج تليفزيوني أو موقع على الانترنت^(٢)، فالتعريف على مفهوم الخطاب الديني من الأهمية بمكان لأن الخطاب الديني هو عبارة عن مجموعة من الأفكار والمعتقدات ولذلك « يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تتبع من ارتباطها بدين ما ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاء هذا العالم^(٣)، وكما مر قد يكون الخطاب منغلقا وقد

١- انظر محمد بونس : تحديد الخطاب الإسلامي من المنبر إلى شبكة الانترنت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٧ ، ايداع ، ١٧٤٠٥ / ٢٠١٧ م ، ص ص ٢٦-٢٧ .

٢- المرجع السابق ، ص ص ٢٧-٢٨ .

٣- نجلاء محمود المصباحي : الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مطابع الأهرام - ايداع ، ٢٠١٧ / ٢٠١٧ م ، ص ١٧ .



يكون منفتحاً على التفاعل الدائم والمستمر مع قضايا الأمة الملحة فيعالجها ويقف عند نواحي القصور ليعدها ولا يزال يتابع الواقع دارساً له مفنداً للقضايا حتى يصل إلى حلول مرضية لها من واقع أصول وثوابت هذا الدين العظيم وتعاليم الرب الحكيم سبحانه وتعالى .

والخطاب الإسلامي الذي نرجو هو الذي فيه أصاله ومعاصرة لا يتبرأ من القديم ولا ينفصل عن المعاصرة بل هو إسقاط النص على الواقع إسقاطاً سليماً فيستخرج الحكم المناسب والملائم لطبيعة ذلكم الزمان وهذا التطور الواقع في العالم الذي يعيشه الناس .

والخطاب الإسلامي خطاب يختلف ويتنوع بتنوع البيئة فهناك خطاب يتعلق بالأحكام الفقهية وهناك خطاب يتعلق بالقضايا الفكرية وخطاب يتعلق بالأمور السياسية وخطاب يتعلق بالجوانب السلوكية وخطاب يعالج القضايا العقدية ، وفي كل خطاب مما سبق تختلف الموضوعات والأفكار والرؤى بل وطريقة العرض وكذلك الفئة المخاطبة بذلك الخطاب ؛ ولذلك هناك **أنماط للخطاب** وأخص بذلك المجتمع المصري :

فهناك **نمط أول** : وهو الخطاب الإسلامي الرسمي والذي يمثله الأزهر ووزارة الأوقاف .

النمط الثاني : وهو الخطاب الإسلامي الصوفي ويتمثل في الطرق الصوفية .

النمط الثالث : وهو الخطاب الإسلامي السياسي : وهو مرتبط ببعض الجماعات الإسلامية .

النمط الرابع : وهو الخطاب الإسلامي الذي يقدمه الدعاة الجدد على منابر مختلفة وفي مقدمتها البرامج الدينية في الفضائيات .

النمط الخامس : الخطاب الإسلامي الشعبي : وهو الإسلام كما يفهمه العوام وتعكسه ممارستهم ^(١) .

- انظر المرجع السابق ، ص ٢٢-٢٣ .



وهذه الأنماط الخمس لا شك أن تعاطيها للخطاب سيكون متعلقاً بالمنظومة الفكرية القائمة عند كل منها فهي تفرز لنا معطيات ومخرجات بناء على تلك المفاهيم والأفكار المستقرة فإن كانت البنية المفاهيمية متزنة متسقة مع تعاليم السماء وما أنزل الله في كتابه وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام كان الخطاب مثمراً. لذلك فإننا في حاجة ماسة أن نضع الخطاب عند المخولين به حتى لا نفسد ونحن نريد الإصلاح، وهذا لن يتأتى حتى تقام ندوات ومؤتمرات وتنتشر كتب ودوريات تناقش قضايا الخطاب الديني وآلياته ومآلاته.

ضرورة التجديد للخطاب الدعوي :

فإن الدعوة الإسلامية والخطاب الدعوي أحوج ما يكون إلى تجديد يوائم العصر ويواكب ذلك التطور الواقع بلا شطط ولا تجديد للأصول والثوابت والقواعد المستقرة للشريعة ولذلك ضرورة تجديد الخطاب الدعوي تتأسس على مسائل في غاية الأهمية :

أولها : طبيعة الإسلام : فطبيعة الإسلام نلمس أن التجديد فيها ذاتي لأن الإسلام بمعناه العام رسالة من الله إلى الناس جميعاً، وهذه الرسالة جاءت لتغيير حياة الإنسان والمجتمع وإصلاحها والأخذ بيد الفرد والمجتمع على السواء نحو التقدم والتطور وقد تحققت تلك الخاصة من خلال رسالة النبي عليه السلام وشريعته التي أتت عالمية للبشرية جمعاء فاستطاعت أن تنقل العرب من التشرذم والتفرق إلى أمة واحدة ويحصل لهم تغيير جذري وكذلك فعل فعله في نفوس أتباعه إذ إنه حول قلوباً صلبة صلدة إلى قلوب رقيقة أليفة شفقة، وهذا إن دل فإنما يدل على ذاتية النزعة التجديدية في شريعة الإسلام العظيم.

فالتجديد يعد عملية ديناميكية وقد أكد القرآن الكريم على قانون التجديد المستمر في حياة الفرد والجماعة من خلال تأكيده على عملية التجديد المستمرة كما قال تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد / ١١) وهذا القانون الإلهي يعد عملية ديناميكية

مستمرة ودافعا للأمة نحو تطوير ذاتها وتجديد واقعها وحاضرها بما يعود على المستقبل بالرقي والحضارة والسؤدد المنتظر إذا فطبيعة هذا الدين هي التي تحتم علينا معاشر من لهم إسهام في مجال الدعوة سواء بكلمة مسموعة أو مكتوبة أن ينظروا إلى ذلك بعين تبصر واعتبار فهذا من سمات الإسلام وطبيعته فلم التوجس من التجديد ولم الانجفال عن مناقشته؟ والإسلام يأخذ بأيدينا إلى التطوير والسعي إلى كل جديد يساير حياة الإنسان . يقول د/ عبد المقصود عبد الغني : « إن الحياة - في نظر الإسلام - متحركة ومتطورة فهي في نمو مستمر تنتقل من طور إلى طور لا تعرف الوقوف ولا الركود وكان لابد لها والأمر كذلك من إنسان يتابعها في حركتها ويسايرها في تطورها وبالتالي كان لابد لهذا الإنسان من دين يتضمن من المبادئ ما يسمح بل ما يدفع هذا الإنسان إلى الحركة التي بها يستطيع أن يتابع تغير العالم وحركة الحياة دين يساير الحياة في رحلتها الطويلة المتواصلة دين يحفل بالحركة والنشاط لا يتخلف عن ركب الحياة ولا يعجز عن مسايرته ولا تقصر عنه خطواته وذلك شأن الإسلام فإنه وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة وحقائق خالدة زاهر بالحياة ، حافل بالنشاط له من الحيوية معين لا ينضب ومادة لا تتفد صالح لكل زمان ومكان وعنده لكل طور جديد من أطوار الحياة ولكل مجتمع عصري من مجتمعات البشر - ورد لا يقصر عن الحاجة ولا يتأخر عن الأوان» .

ثانياً: الواقع المتأزم بالأفكار المتناقضة: إذا تقرر أن طبيعة الإسلام طبيعة تجديدية تميل دوماً إلى التغيير وتسهم في إخراج الناس من العنت والمشقة وكذلك تسعى إلى التوفيق بين ما هو مادي وما هو روعي وما هو عقلي لكي لا يشعر المسلم أنه في منأى عن العالم حوله بلا فاعلية ولا نتاج ولا حركة ، إذا كان الأمر كذلك فإن الواقع أصبح يموج بسيل أو قل سيول من الأفكار التي تريد أو تسعى لإيقاف ذلك الرافد العظيم من روافد بقاء الدين والشريعة تارة بإغماط دور

١- عبد المقصود عبد الغني : محمد إقبال ومنهجه في تجديد الفكر الإسلامي ، مكتبة الزهراء ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ايداع / ١٧٥٠٧ / ٢٠٠٠م ، ص ٩٩ .

العقل في استشراف المستقبل بصورة فيها نوع من التواكل أو التخذيل أو بنوع من التدين الفارغ الذي ياطر أصحابه أطرأ على الخروج من الواقع بعزلة مقبلة فالعالم كله من حولنا يتحرك ويتغير والبعض يريد لنا الركود والركون إلى أفكار مميتة للطاقت معطلة للقدرات والذي يحمل فكر هذه التيارات ينبغي عليه أن يستدرك أمره سريعاً لأن في هذا التقزيم والتعتيم للدين إفساد عظيم .

يقول د / زقزوق : « وهذه التيارات التي تقوم بتضليل العقل وتغيبه عن الوعي الصحيح تكون في الغالب ذات طابع ديني تخلط فيه بين الدين والخرافات والأوهام والدجل والشعوذات فينسى الناس جوهر الدين وينشغلون بكل ما هو غير معقول وغير منطقي وبالتالي غير مفيد ، الأمر الذي يشد الناس إلى دوائر الجهل والتعصب والتخلف الذي نشهد آثاره اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية ومن هنا فإن أولى أولويات العمل الإسلامي المستتير تحرير الناس من هذا التخلف العقلي والتردي الفكري وإزالة الغشاوة التي وضعت على عقولهم حتى يكونوا قادرين على رؤية الواقع على حقيقته وعلى فهم الدين في صفائه ونقاؤه »^(١)، وبعض الخطابات أسهمت في تعطيل عقول الأفراد التابعين حتى يكونوا تحت سلطانهم على الدوام وكأن هؤلاء يريدون إقامة كهنوت حولهم فلا اعتراض ولا إعمال للعقل بل لا نبالغ إذ قلنا لا تفكير إلا ما يفرضه المخاطب حتى صاروا يدورون في فلكهم حيث داروا وهذا تحقق فعليا في بعض التيارات الدينية الجامدة في عصرنا الحالي ، وهذه الطريقة الحمقاء الخرقاء في تعاطي الأمور الدينية والشرعية عافها الإسلام ولفظها ولم يقبلها « فقد كان الإسلام حريصا كل الحرص على ألا تتجمد حياة المسلمين لأن ذلك مخالف لطبيعة الحياة وسنة الكون فالتجديد قانون الوجود والمقابل للتجديد هو الجمود والجمود موات وقد جاء الإسلام ليكون دينا للحياة بجميع أبعادها ومن هنا فإن القعود به عن مواكبة مستجدات الحياة يعد ضد طبيعته ويمثل جهلاً فاضحاً بتعاليمه

١- محمود حمدي زقزوق : المسلمون في مفرق الطرق ، ت/ نظير محمد عباد ، هدية مجلة الأزهر ، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م ، ص ١٤٤-١٤٥.



ومقاصده»^(١)، فالضرورة الملحة لكي نحقق توائماً مع طبيعة الإسلام والواقع والحياة بزخمها وتطورها أن نقيم خطاباً إسلامياً متجدداً ينبذ تلك الأفكار الزائفة القاتلة لروح الدين المميّنة لقدرات أبنائه وهذه الأفكار المتناقضة المناقضة لمقاصد الشريعة وحيوتها لن يتأتى لنا إخماد نارها وفتنتها إلا أن نقيم خطاباً دعوياً يخاطب العقل والروح يخاطب القلب ويراعي الجسد يأخذ بطرفي الأمور بلا تتدجين أو تمييع فالإسلام لم يكن يوماً من الأيام متبلداً جامداً ولم يكن يوماً من الأيام تفسخاً من القيوم والضوابط الشرعية فالحاجة ملحة إلى توازن في الطرح ومعالجة جديّة للقضايا من خلال النصوص الشرعية مع خطاب دعوي رشيد مغلف بالحكمة والعقل والعلم جميعاً .

ثالثاً - امكانية الربط بين الحاضر والمستقبل : إن مما يدعو للفخر والزهو والانشراح للصدر أن هذه الشريعة أتاحت وضمنت التجدد لأنها تجعلنا نفهم الواقع والمستقبل من خلال فهم القديم فالتجديد لن يجد اشكالات أو صدمات أو عراقيل تعوقه عن السير في طريق لادب مستقيم يفتق أسرار الماضي ليستنهض الواقع والمستقبل بلا أدنى حرج أو ضرر يعود على النصوص أو الثوابت ، ولكن لا تزال نفس الانسان مشتتة بين ماضي تنتسب إليه وبين حاضر تكابد همومه ومستقبل تدنو اليه تارة وتخشاها تارة أخرى وهذه الابعاد الثلاثة تمثل فضاءات متلاحمة يتقلب فيها الإنسان في حيرة وأرق وقلق ولكن الخطاب الدعوي الملائم المتجدد يريح المسلم من ذلك العناء وتلك الحيرة .

« إن المسلم محفوظ ومعان في هذه المسألة - كما في كثير غيرها - فالثوابت العقدية والمنهجية التي أكرمها الله بها تملكننا الكثير من الأطر والأسس التي تسعفنا في التعامل مع القديم كما تسعفنا في فهم الواقع واجتراح المستقبل وإعداد العدة له لكن ذلك لا يعفينا من الاجتهاد ولا سيما عند التعامل مع المسائل الجزئية وسنة الابتلاء بالخير والشر والموافق والمخالف تفرض علينا أن ننمي وعينا وأن نشدذ

١- المرجع السابق ، ص ١٤٣.

بصيرتنا من أجل النجاح في إيجاد التناغم بين الماضي والمستقبل وتأسيس نقاط الاتصال والارتكاز التي تساعدنا على الاستتارة بتراكم ما استفدناه من خبرات تاريخية واجتماعية في رؤيتنا للمستقبل وفي تعاملنا مع الأشياء الجديدة وفي تجديدنا لأبنيتنا الحضارية على نحو ينسجم مع مقتضيات الاستخلاف كما ينسجم مع متطلبات الحياة المعاصرة في صعدها المختلفة^(١)، وضرورة التجديد للخطاب الدعوي تكمن في قابلية الشريعة والنصوص له مع إلحاح الحاجات الحياتية والتطورية وكذلك المستقبلية المحملة بكل جديد لا محالة فلذلك نحن نريد أن نستنهض النصوص لكي نعالج بها ومن خلالها حاضرنا ومستقبلنا بلا إفراط في التنزيل يذهب مصدرية النص أو قدسيته ولا تفريط بحيث نزل النصوص على وقائع مختلفة بتعنت ، وكذلك بلا هوجائية أو حماسية زائفة لا تحمل في طياتها إلى كل تسفيه للنصوص ومرجعيتها ، وهذا لن يكون مقبولا بالمرّة في خطاب تجديدي ولن نرفع العقل على النص بحيث يعود على النص بالسلب بل العقل خلق لفهم النص والغوص في بحره الخضم الزاخر .

تجديد الخطاب الدعوي المقبول والمرفوض : إن الخطاب الدعوي ودعاوي تجديده تلقفته أيادي كثيرة منهم من أراد إحياء الدين من خلاله وبت الروح الدينية في قلوب العباد وإن الغاية من تجديد الخطاب الدعوي هو استقامة حال العباد في معاشهم ومعادهم ولا خير أعظم من ذلك فإذا لم يتحقق الخير في الناس فلنعلم جميعا أن ذلك خطاب دعوي مشوه مبتور مقطوع الصلة ، وليس هناك من شك أن الخير كل الخير في اتباع تعاليم السماء التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم فقد قال تعالى : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (البقرة ١-٢) فالقرآن لا ريب ولا شك في ثبوته وحجيته لأجل ذلك هو هداية وخير للناس إذا هم اتبعوه واهتدوا بهديه وقال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (النحل ٨٩/) .

١- عبد الكريم بكار : تجديد الوعي ، دار القلم - دمشق ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص ١٤٥ - ١٤٦.

والخطاب الذي لا يرعى جناب الشريعة هو ساع في التنقص لها ولقدرها هو خطاب في الحقيقة مفسد ومخرب ولذلك هنالك ضوابط لتجديد الخطاب الدعوي لكي يكون مقبولا غير مرفوض : **أولاً : لا مجال للتجديد في الثوابت والأصول والقواعد الكلية** لأنها تقرر أحكاما لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا تتأثر بالأعراف والتقاليد وهي من ثم ليست مجالاً للبحث والاجتهاد ولا يجوز لمسلم أن يقول فيها كلمة من حيث الوجوب أو التحريم أو من حيث صلاحيتها لحياة الانسان في كل عصر ومصر , فالتوحيد شيء لا يتغير لأنه من الأصول الثابتة وكذلك القواعد الكلية للدين ليست مجالاً للتجديد وهذا لكي لا يخرق العقل مجالاً لن يعود عليه بشيء من النفع فيبدد الطاقات في شيء ثابت لا يتغير ولكي لا يتعنى الانسان في تغيير ما هو ثابت فلا مساس بالمسائل القطعية في الثبوت والدلالة أو في شيء معلوم من الدين بالضرورة فهذا ليس تحجيراً على العقل بقدر ما هو وضع قانون لضبط العقل ، « إن غرور العقل الإنساني واقتحامه عالم الغيب أو مجال القطعيات والثوابت في الأحكام الشرعية يترد عليه بالاضطراب الفكري وعدم الوصول إلى مقررات علمية يكون لها أثرها في قيادة الحياة الانسانية قيادة رشيدة عملية فلا غرو أن كانت بحوث الفلاسفة الميتافيزيقية شطحات وأوهاماً وظنوناً لم تثمر في عالم المعرفة سوى الحيرة والقلق الفكري»^(١).

ثانياً : منطلق التجديد الدعوي هو عقيدة التوحيد والإيمان بالوحي الإلهي الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هداية للخلق ومنهاجا كاملاً - في أصوله - للحياة البشرية في مختلف مجالاتها وتنوع مواطنها وعصورها حتى قيام الساعة « إن هذا المنطلق في التجديد هو منطلق السلوك الإنسان فالمسلم محكوم به في كل أقواله وأفعاله يؤمن إيمانا لا يخالطه ريب بأن عليه أن يتوجه بكل جهد يبذله نحو خالقه ليحقق معنى العبودية الكاملة فلا يشرك بعبادة ربه أحدا ، إن مهمة التجديد الديني تتمثل في تحقيق سيادة التشريع الإسلامي

١- محمد السيد الدسوقي : تجديد فهم الدين ، رابطة الجامعات الإسلامية ، العدد/١٩ ، اشراف أ.د/ جعفر عبد السلام علي ، ايداع /١٤٠٧م ، ص١٣٩.

في عالم الواقع ونجاح هذه المهمة مناطه الربط بين وسائل التجديد والعقيدة الإسلامية فهذا الربط هو الذي يكسب التجديد صفة الشرعية ويدراً عنه كل انحراف عن هذه الصفة فلا يزور الناس عنه ، دائماً يقبلون عليه برغبة صادقة وحرص بالغ على أن مفهوم العقيدة ليس منحصراً في الأمور العينية وإنما يشمل إلى جانب هذه الأمور كل ما يميز الرسالة الإسلامية عن سواها من الرسائل التي خلت من قبلها»^(١).

ثالثاً : تجديد الخطاب الدعوي لابد وأن يأخذ بالمعرفة والعلم فيرد الأمور إلى أهل الذكر كل في مجال تخصصه فتجديد الخطاب يحتاج إلى تخصصات علمية متنوعة حيث إنه يواجه نوازل ومستحدثات قبل القطع فيها لابد وأن تكون هنالك تخصصات متنوعة فيحتاج علم الطب والاقتصاد والاجتماع إلى جانب علم الشريعة حتى تكتمل الرؤى وتتبلور الأحكام وتسفر عن نضج عقلي رشيد يستفاد منه في معالجة القضايا والمسائل .

رابعاً : الركون إلى التراث الحضاري والثقافي الإسلامي فالتجديد لن يقوم الا على ساق الأصول الثابتة وكذلك لن نحقق تجديداً دعويًا حتى نستشرف الواقع والمستقبل من حضارتنا وتراثنا الممتلأ بقواعد وأصول عظيمة تعين على تجاوز المحن والعقبات الحياتية بسعتها وعبقريتها وحكمتها فهناك الفقه الإسلامي براجمته وسعته وهناك نصوص الكتاب والسنة التي يصول فيها العالم الرباني ويجول لاستخراج ما يريح الناس من عناءهم ولا تزال آياته بكرةً ومعينا لا ينضب من الحلول والجوابات الشافية عما يؤرق البشرية ويخرجها من كبوتها .

وتلك المرونة تتمظهر في القواعد الكلية التي يندرج تحتها مئات الألوف من المسائل فأمر تجديد الخطاب الديني لن يتعنى في سبيل استكشاف الحلول وصياغتها بقدر ما هو بحاجة إلى التفتيش عنها وإظهارها .

١- المرجع السابق ، ص١٤٠.



وهناك مقاصد للشريعة وقواعد كالقياس والاستحسان والاستصلاح كل تلك الأصول الضابطة هي بمثابة ترتيب للعقل البشري لكي ينطلق في الآفاق يرتاد الطريق .

خامساً: إن أهم ما في قضية تجديد الخطاب ليس هو التنظير الفلسفي أو العلمي المتجمد بقدر ما هو تحويل جهود المجددين والمصلحين إلى واقع عملي في تطبيقه عملياً بدلاً من كثرة التقييدات التي ليس لها فوائد سوى كتابتها وتناقلها ، والسعي إلى تطبيق الجهود المبذولة في سبيل تطبيق تلك الاجتهادات في مجال التجديد للخطاب هو يعني تثبيت صلاحيتها والنفع بها وكذلك يكشف الثغرات والهفوات التي تحتاج منا إلى الوقوف عليها ونعالجها ونقوم خطئها ثم تتبلور هذه الجهود لننشأ صرحاً يبينه كل من يتابع عليه .

الفصل الثاني : الانحراف الفكري مجالاته وأسبابه وطرق علاجه :

إن حاجة الخطاب الدعوي للتجديد تكمن في ذلك السيل العارم من الأفكار التي تتجاذبها تيارات منحرفة تصرف الجمهور عن حقائق الدين الصافي وتبتعد به عن منزلته السامية في هدوء النفس وراحة الإنسان بدلاً من أن يعيش معاناة نفسية وفكرية ، والخطاب الدعوي ليس بعيداً عن الفكر بل هو يحمل فكراً إسلامياً رشيداً يدافع عنه ويبذل في سبيل توطينه في قلوب الناس سبيلاً حسناً ، وإن المشكلة التي يعيشها المسلمون في الحقيقة هي مشكلة الأفكار ولذلك كان مالك بنى المفكر المجدد الجزائري يركز في تصويره للأزمة الحضارية - وما يرتبط بها من عناصر مختلفة - على عالم الأفكار والذي يشهد اضطراباً قيمياً ومنهجياً منذ عصر ما بعد الموحدين يتمثل في الغفلة العقلية والوجدانية عن قيمة الفكرة وأثرها في التغيير الفردي والمجتمعي وعمق ذلك التأثير الذي يفوق تأثير أي عامل آخر من عوامل التغيير المادية .^(١)

وإن أهمية الفكر المستنير الذي يعكس تلك العملية الذهنية والعقلية يكمن في إثبات أن الأمة الإسلامية قادرة في كل مراحلها أن تقدم فكراً قادراً على تجاوز أي عقبة أو كبوه وهذه هي مهمة تلك المرحلة المعاصرة من تاريخنا العربي والإسلامي الحديث مرحلة قال فيها د/ طه جابر العلواني : « نحن الآن في مرحلة أخرى هذه المرحلة هي كما قلنا مرحلة تحد كامل ، إما أن نكون قادرين على إقناع الأمة بأننا البديل الحضاري المناسب وأنها الاقدر على تقديم الفكر السليم والثقافة الصحيحة والحضارة القويمة والعمران الأكيد وأنها نحن المؤهلون لأن نجتاز بالأمة حازم التخلّف ونحقق لها أهدافها في الإنماء والبناء وفي العمران وفي احتلال موقعها تحت الشمس وإما أن يثبت عجزنا ، فأهمية الفكر تكمن في أن الغرب أسس أفكاراً وضرب بجذوره في

١- حسان عبد الله حسان : المشروع الحضاري عند مالك بن نبي (قراءة معاصرة) ، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م ، ايداع / ٢٠١٧ / ١٤٥٠٤م ، ص ٣١ .

٢- طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٣ .



العلوم الكونية والحياتية ولا بد للإسلام أن ينتج فكراً اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وهكذا كان ولا بد وأن يعود لسابق أمره .
إلا إن هناك قطيعة حصلت في ميدان الفكر الإسلامي السليم هذه القطيعة حصلت لدى هؤلاء الذين برزوا على الناس بأفكار منحرفة لا تمت للإسلام بصلة وألصقوها عنوة في الإسلام وإلى شرائعه كما فعلت داعش وغيرها من التيارات المنحرفة ، وإن تجديد الخطاب الدعوي والفكري الديني هو بمثابة تصحيح النسبة أولاً وتصحيح الخط الحضاري ثانياً وهذا حقيق بالإسلام وحضارته .

تقول د/ يمنى طريف الخولي : « وعلى مدار القرون الماضية احتل الإسلام المخزون النفسي للجماهير والنسيج الشعوري والإطار القيمي بعد أن شكل دائرة خفاقة استوعبت الدوائر الحضارية وقسماتها لذا فإن البحث عن تجديد الفكر الديني بمثابة البحث عن طوق النجاة من الانسحاق الحضاري والضياع الثقافي في خضم ما نعانيه الآن من طوفان الانغلاقات الذي لا يوازعها فحسب بل ويتنازع دعائم وجودنا على خريطة العالم وبعد أن ماهت الفوارق بين التبعية والاستقلال الحضاري وترسم بديلاً موقفاً هامشياً هو موقف التنازلات ولو التنازلات التي أصبحت تلامس ثوابت الهوية ووضع القومية موضع الاستفهام والعروبة موضع التشكيك والإسلام كريف الرجعية ولا غرو أن يعقب هذا انتهاب الأرض وعلو الصهيونية واهتزاز قيم الحرية والعدل وانحسار العقلانية وهبوط الوعي وتراجع المشروع القومي وشيوع التعصب وذيوع التطرف ... وفتية تنتابهم هستيريا الفرار المخبول للماضي أو نوبات علاقة إجرامية بالحاضر مفخخة بالإرهاب والدماء»^(١)

وإن الغفلة عن تلك القضايا عند تجديد الخطاب الدعوي لهو من الخطورة بمكان فالانحرافات الفكرية التي ظهرت على السطح في أزمة العالم العربي والإسلامي المتأخر أصبحت تشكل خطراً كبيراً على حضارتنا وهويتنا حينما ينظر للإسلام وشريعته بأنها رجعية وتعاليمه

١- يمنى الخولي : أمين الخولي ، الأبعاد الفلسفية للتجديد ونص « كتاب الخير » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ايداع ٢٣٠٣٤ / ٢٠١٧م ، ص ٥٣٣ .

بأنها لا تصلح لزمان الناس فهذا خلل كبير أسهم فيه تقصير الخطاب الدعوي المعاصر مع انحراف أناس عن طريق الإسلام القويم في النظر والفكر ، ولذلك هناك أسباب لهذا الانحراف الفكري منها :
أولاً : الضعف العلمي السحيق وظهور الجهل بالأحكام فضلاً عن التعامل الذي دمرت آثاره البلاد .

ثانياً : القراءة المتعجلة غير السديدة حتى فسرت النصوص تفسيراً متسرعا وتبع ذلك إسقاط هذا التفسير المتعجل على حياة الناس .
ثالثاً : الذهنية المنحرفة التي تحمل انحرافاً مسبقاً حتى عن القراءة فهي أحكام حائرة جائرة جاهلة في عقول أصحابها تخمرت مع سوء فهم للنصوص وعدم التبصر بها فكانت العواقب الوخيمة .

رابعاً : تصنيف الناس على أساس المفاهيم المتعصبة المنحرفة بلا تفريق بين ما هو حق المخالف وفقه الخلاف فظهرت التصنيفات الجائرة .

خامساً : عدم الأخذ باختلاف الأفهام وقد تفاوتت العقول في فهم المعاني الدينية النصوية وذلك تبعاً لمناهجهم التفسيرية والتأويلية
سادساً : محاولة تطير الناس على أفكارهم بالقوة اللفظية حيناً وبقوة الإرهاب المسلح حيناً آخر وما هذا كله إلا كان سبب خطاب فاسد لم يراع الاختلاف ولم يرقب في المسلمين إلا ولا ذمة ، وفي الواقع ليست هذه الانحرافات الفكرية وليدة هذا الزمان المتأخر فحسب بل كانت تلك الانحرافات موجودة حتى في العصور المتقدمة حينما ظهرت الخوارج فكفروا المسلمين وقتلواهم بل كانوا يتورعون عن قتل الذباب والبعوض ولا يتورعون عن قتل المؤمنين في جهالة وحماسة وبلاهة فكرية وعلمية وفساد منهجي مريع وفضيع ، ثم ظهرت الفرق الإسلامية المتناحرة كل منهم يكفر الآخر بتأويلات متعسفة للنصوص حتى كتبت هذه في كتابات هؤلاء القوم وتناقلها الناس إلى يومنا هذا مرقومة مبثوثة في الكتب ثم بعد ذلك ظهرت العصبية المذهبية وهذه كانت متأخرة شيئاً ما فحمل الناس عنتها فأعلنوا وجوب التمهذ ثم سد باب الاجتهاد



كما مر ، وتلك الدعوات في الحقيقة تحمل انحرافا فكريا تسبب في خراب ودمار وقع في بلاد المسلمين .

الفكر الإسلامي السليم وخصائصه وسماته :

ومما ينبغي تسليط الضوء عليه ونحن نناقش الانحراف الفكري هو الفكر الإسلامي وهو أود ومنبع تجديد الخطاب الدعوي فالدعوة تقوم على فكر يغذيها ويحملها وهي تحمله في تناغم واتساق ومن باب وبضدها تتميز الأشياء فستعرض لمحة عن الفكر الإسلامي وخصائصه وسماته لعلها تعيننا على ما نحن بصدده من كشف عوار المنحرفين فكريا وعلميا.

بادئ ذي بدء الفكر هو عمل عقلي يحتاجه الإنسان في موقف النظر أو إزاء موضوع من الموضوعات ليتعرف حقائقه وخصائصه ، ولذلك يقول الأصفهاني في غريب القرآن : « مادة (فكر) » الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب..... قال بعض الأدباء : الفكر مقلوب من الفرق لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها»^(١) ، ويقول فيها الجرجاني : « الفكر : ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول»^(٢) ، وقال عنها الكفوي في الكليات : « الفكر : وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ ورجوعها من المبادئ إلى المطالب»^(٣) ، « أي أن الفكر يتضمن محاولة تحليلية للتوصل إلى المبادئ أو العناصر الأساسية لموضوع ما ومحاولة تركيبها إبداعيًا سعياً إلى الكشف عن المطالب المجهولة أو حلول المشكلات التي يتصدى لها هذا الفكر»^(٤).

فالفكر عمل عقلي تفرضه مشكلة من المشكلات وتعوزه إلى إيجاد حل لها يتواءم مع واقع المشكلة ومناطاتها وحيزها الجغرافي

١- الأصفهاني : غريب القرآن ، ت/ محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، (د/ت) ص ٣٤٨.

٢- الجرجاني : التعريفات ، ت/ إبراهيم الإياري (د/ت) ص ٢١٧.

٣- الكفوي : الكليات ، ت/ عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٧م ص ٦٧.

٤- حسن الشافعي : قول في التجديد ، دار القدس العربي ، ط ٢ ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م ، ص ١٤٢.

وعنصرها الزماني والمكاني بحيث يتنزل الحل على المشكلة بلا ضرر ولا نكير ، ولذلك يقول د/ حسن الشافعي في تعريف وتمييز مصطلح الفكر الإسلامي وبيان كونه عملاً عقلياً : « ويكون الفكر إسلامياً إذا كان ثمرة لعمل عقلي يعالج مشكلة من مشاكل المسلمين في أي عصر من العصور مستهدياً بتقاليد العلماء المسلمين في النظر والاجتهاد العقلي وملتزمًا بالقيم الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله»^(١)

والفكر بمعناه اللغوي يُستثمر فيما نحن بصدده الحديث عنه ، فهو أعمال عقل في معلوم للوصول إلى معرفة المجهول كما ذكر الجرجاني من قبل ، والفكر الإسلامي هو أعمال العقل في المستجدات والمشكلات لكي يستخلص من خلال النصوص الشرعية وكلمات السابقين من العلماء الراسخين لنسقط حكماً سديداً على واقع متفقاً وليس مختلفاً ، والفكر الإسلامي لا يقنع حتى يكون في موضعه اللائق به فيضع تصورًا في كل القضايا وكل المشكلات بل عنده تصور شامل و منظومة مفاهيمية تسع كل المشكلات ، والفكر الإسلامي يتقابل مع روح الشريعة الخالدة التي من شأنها إرضاء النفس وإشباعها بما يعوزها في كل حالاتها ، والفكر الإسلامي فكر متجدد تجدد هذه النصوص ، ولكن على القائمين على أمر الفكر الإسلامي أن يحققوا المقاصد النصوية الشرعية حتى يهنأوا بتلك المزية « وغني عن البيان أن نؤكد أن الفكر الإنساني فكر متجدد ومتطور كالنهر الجاري والفكر هو الذي يقود قاطرة التجديد والتغيير في كل أمة وهناك علاقة وثيقة بين إصلاح الفكر بصفة عامة وإصلاح الفكر الديني بصفة خاصة فكل منهما يؤثر في الآخر إيجاباً أو سلباً في أي مجتمع إنساني والفكر السليم من شأنه أن يكون رائدًا للتقدم والتطور وقائدًا لمسيرة التحضر في المجتمع وتلك هي طبيعة الأمور فالتغيير سنة الحياة وقانون الوجود»^(٢) ، فمرد الفكر الإسلامي على أعمال فكر المسلمين في قضاياهم الملحة فلذلك

١- المرجع السابق ، ص ٢٥.

٢- محمود حمدي زفزوق : هوامش على أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ، هدية هيئة كبار العلماء ، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٧م ص ١٠.



الفكر الإسلامي هو اجتهادات المسلمين في مختلف مجالات العلوم والأمور الدينية والدينية وهي اجتهادات بشرية غير معصومة من الخطأ و لذلك لزاماً أن نفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي حتى لا يعاب الإسلام بقول بعض مفكريه ، وإنما نقول إذا استرشد الفكر الإسلامي بالنصوص واستنهضها وأقامها مقام الأصل والقاعدة وهذا مكانها الحقيقي بها لثم المراد وعمت الفائدة ، وإذا استقام هذا الفكر وأسهم في واقع الحضارة الإسلامية كان مثلاً لتقدمها وأما إذا ترك العلم وأخذ إلى الجهل وركن إلى الدعة والخمول عاد ذلك بالسلب لا على التعاليم الإسلامية ولكن على من قصر في الأخذ بالأسباب العلمية التي توصل إلى المطلوب .

لذلك « فالتجديد الفكري والاجتهاد العقلي في نطاق الشريعة واجب العلماء والمصلحين والتجديد بهذا المعنى ضرورة دينية شرعية وحقيقة واقعية عملية»^(١) ، ولأجل ما ذكرناه كان يرى محمد إقبال رحمه الله أن التفكير الديني في الإسلام ظل راكداً خلال القرون الخمسة الأخيرة بعدما صار يستجدي على موائد الغرب ومائدته طرة بكل مذخور مع أن الفكر الإسلامي هو صاحب الفضل على الفكر الغربي فيقول إقبال : « وقد أتى على الفكر الأوروبي زمن تلقى فيه وحي النهضة عن العالم الإسلامي ومع هذا فإن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب ولا غبار على هذا المنزع فإن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهاراً لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الإسلام وكل الذي نخشاه هو أن المظهر الخارجي للثقافة الأوروبية قد يشل تقدمنا فنعجز عن بلوغ كنهها وحقيقتها وكانت أوروبا خلال جميع القرون التي أصبنا فيها بجمود الحركة الفكرية تدأب في بحث المشكلات الكبرى التي غني بها فلاسفة الإسلام وعلمائها عناية عظيمة»^(٢) ويضع محمد إقبال يده هاهنا على جرح غائر عميق أصاب الفكر الإسلامي وكان من تداعياته حينما تخلف وترك مسئوليته أن

١- حسن الشافعي : قول في التجديد ، ص ١٦ .

٢- محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ت/ عباس محمود ، منشورات الجمل - بيروت - لبنان ، ٢٠١٥م ، ص ١٧-١٨ .

بزغ نجم الفكر الغربي ببهرجته الكاذبة ورونقه الزائف لكي يتألق أمام الجموع التي أصابها خور وضعف فكري وعلمي ، والذي من شأنه أن يضعف كل ما هو خلقي وسلوكي ومنهجي ، ودينما يفقد المسلم تلك الخاصة المميزة في فكره ومنهجيته يكون عرضه لكي يتلقف أي فكر وافد دخيل ، ويكون مستعدًا أتم استعداد لأن يُستغل أبشع استغلال ويوظف أسوء توظيف ، وذلك حينما تستلب أفكاره من قبل فكر وافد دخيل فلا يستطيع بعدها أن يستوضح الحقائق وأن يتبين ماهيات تلك الأفكار فضلاً أن يساوقها أو أن يستطيع أن يرد عليها أو أن يفندها ويفحصها بل يرى محمد اقبال أن النهضة الفكرية الأوروبية هي في الحقيقة بضاعتنا ردت إلينا حقًا إن هذه قضية حقيق النظر فيها والتذكير بها .

ميادين الفكر الإسلامي السليم : إن الفكر الإسلامي الذي ينطلق من الوحي بفهم وروية وكذلك الخطاب الدعوي الذي ينطلق من الوحي له ميادين يعمل من خلالها للحفاظ على الأمة الإسلامية مصانة وأهمها :-

1 فهم نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام والعبر والمواعظ من خلالها فهما واستنباطا من قواعد العلماء وضوابطهم المرعية .

2 استنباط براهين الحق ودلائل التوحيد ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العقائد بالتدبر لآيات الله التنزيلية والتفكر في آيات الله الكونية .

3 بيان محاسن الإسلام وسلامة نظامه وتشريعه من النقائص وأنها هي المصلحة لحياة الناس كما تقدم ذلك فالفكر هو تحقيق ذلك واذا لم يحقق الفكر وتجديد الخطاب الدعوي للإسلام سلامته وسلامة نظامه وتشريعه فهو فكر وخطاب مختل منحرف ولا يستحق أن يوصف بأنه إسلامي .

4 الدفاع عن الإسلام وتفنيد الشبهات المثارة حوله وبيان بطلان

الأفكار المنحرفة والنحل الضالة .

٥ استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه وسخرها للإنسان والانتفاع من ذلك في تسهيل حياة الناس والرقى بها وفي الإعداد لقوة المسلمين في كافة المجالات ويدخل في ذلك العلوم المادية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والطب والأحياء والصناعات المختلفة والزراعة والعلوم الاقتصادية والتجارية ، والفكر الاسلامي معني بتطهير هذه العلوم مما التصق بها وادرج فيها من ضلالات بالإضافة إلى نقل المفيد منها واستخدامه وتطويره .

٦ البحث والدراسة للنفس البشرية والنشاط الإنساني واقامته على مبادئ الإسلام ومسلماته ويشمل ذلك علم النفس والاجتماع وفروعها والدراسات التاريخية ونحوها .

V التفكير في الأمور الغيبية التي أخبر الله بها كالموت وأحوال القبر وما يجري يوم القيامة من أهوال وصفات الجنة والنار مما يفيد في إصلاح القلوب واندفاعها للخير وارتداعها عن الشر وعدم تماديها في الحرص على الدنيا ، فالنشاط الفكري الإسلامي يشمل كل المجالات التي يحتاجها المسلم في دينه ودنياه^(١)

وتلك الميادين يشملها تجديد الخطاب الدعوي ويسعى إليها وهذا يكون بالوحدة الفكرية ، وهي الوحدة التي تتبع كما مر من أسس الإسلام وقواعده العقائدية والتشريعية على السواء فإن الوحدة النابعة من تلك الاسس توافق الفطرة وتحافظ على سلامة المجتمع من كل خلل وانحراف ؛ فالوحدة الفكرية المطلوبة في تجديد الخطاب الدعوي هي ترسيخ العقائد والمبادئ والمعارف التي جاء بها الإسلام لدى أكبر عدد من أفراد المجتمع وجعلها أساس التربية والتعليم في كل مجالاته وكذلك الوسائل التي يستعين بها الخطاب التجديدي في المنبر والإعلام المكتوب والمسموع والمرئي .

١- عبد الله عبد الرحمن الجربوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة الغسلامية ضد الافكار الهدامة، أضواء السلف الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٤٨٦.

وهذه الوحدة الفكرية تتخلف إذا أصابها عاملان :-

العامل الأول : الفراغ الفكري الناتج عن الجهل وانصراف الناس عن العلم فينشر في الناس الأفكار الفاسدة والخرافات والتصورات الخاطئة ولا شك أن ذلك انحراف فكري ظاهر في مجتمعات المسلمين .

وتجديد الخطاب الدعوي كما مر يسعى إلى رد الناس إلى عقائدهم الصافية ورد البدع وإقامة السنن ونبذ الخرافات والعوائد السيئة والدجل والشعوذة .

العامل الثاني : الفوضى الفكرية والتي انتشرت الآن بسبب تلك الفضائات المفتوحة التي لا رقيب عليها فأفسدت عقول الناس فأظهر المبطل باطله وانحرفه .

السبيل إلى المحافظة على الوحدة الفكرية : إن العمل للمحافظة على وحدة الفكر واستقاءه من الوحي في ظلال هذا الواقع المتأخم بالأفكار المخالفة المنحرفة ينبغي علينا أن نتبع خطوات مدرسة محكمة متزنة :

أولها : التطهير للفكر من الدخيل : وذلك يكون بتطهيرة من الأفكار الدخيلة على بيئتنا والمخالفة لعقائدنا ومجتمعنا وأصولنا وثوابتنا ولا شك أن الخطاب الدعوي يحمل كفل من ذلك كبير وذلك التطهير يكون في خطوات ثلاث.

- الخطوة الأولى : وهي عزل المجتمع المسلم عن أفكار وثقافات وآداب المجتمعات المخالفة وإنما تتم الاستفادة من غيرنا فيما هو مقبول عندنا وفي ثقافتنا لا ما يناقض ما هو معنا .

- الخطوة الثانية : وهي تطعيم المجتمع المسلم وأفراده ضد تلك الأفكار الخبيثة والمنحلة والمنحرفة وذلك بنقد وتفنيدهم تلك الأفكار المنحرفة ثم بيان باطلها وسوءها الديني والحضاري والمادي كذلك وهذا يستطيعه الخطاب الدعوي في حال تجديده أن يراعي تلك القضايا ويجعلها في أولوياته .

- الخطوة الثالثة : تنقية الإسلام في جميع ميادينها من الفكر

الدخيل عليه وقد نسب إليه بسبب بعض هؤلاء المنحرفين وهذه الخطوة من الأهمية بمكان لأن الإسلام قد أصابه بعض أضرار تلك المفاهيم المغلوطة المبالغة في التشدد والمبالغة في التساهل على السواء وتبرئة الإسلام منها هذا عبء كبير على الدعاة والقائمين على تجديد الخطاب الديني لأن هذه القضية لن تتحقق إلا بسبل من الكتب والمنشورات العلمية والخطب والدروس الوعظية وكذلك هو عمل القنوات الإعلامية المسؤولة عن بث المفاهيم الصحيحة حول الإسلام وتشريعاته .

الاتجاه الثاني : تنقية السلوك ومعالجته : وذلك بنشر العلم بين أفراد المجتمع وتزكية وتنمية العامل الإيماني في قلوب الأطفال والكبار والمحافظ على سلامة الأسرة من أي فكر منحرف يفسد الأسرة أو يعكر صفوها وهناك ثغرات قد تكون سببا في إفساد ذلك وهي ما يكون على صفحات التواصل وشبكات الانترنت فلا بد من تفعيل المراقبة الذاتية لدى الصغار والكبار على السواء والمراقبة الدائمة لكل تحولات الشباب والفتيات العارضة نحو الأفكار المعينة في أي قضية من القضايا ، لذلك فإن الصراع الآن أصبح صراعا فكريا من الطراز الأول.

يقول د/ زقزوق : لقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التي كانت تمثل تحدياً للإسلام والفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزاً للمسلمين في تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة وصلابة وقد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوقه فقد هضم الفكر الإسلامي تلك التيارات هضمًا دقيقاً واستوعبها استيعاباً تاماً ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبالأسلحة الفكرية نفسها فالمواجهة إذاً كانت مواجهة فكرية وكان التاريخ الآن يعاد نفسه فالحرب الآن بين الاسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار ، والمعركة معركة فكرية ولهذه المعركة أدواتها التي يجب التسلح بها فالخسران في هذه المعركة أشد وطأة وأقوى تأثيراً وأعظم فتكاً من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها»^(١)

١- محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ، دار المعارف ، ايداع ٨١٤٣٤ / ١٩٩٧م ، ص ١٣١.

وتضلع الخطاب الدعوي بهذه المهام يعطيه موقعه اللائق من حيث التأثير وكذلك النتائج المرغوب فيها إلا إن هناك معوقات للتفكير والفكر وهي الأهواء الذاتية والعواطف فهي تعرقل الحكم الموضوعي وإذا كنا نناقش تجديداً للخطاب الدعوي فينبغي علينا أن نعالج انحرافاً فكرياً يتزيا بزّي التجديد الديني وهو منه براء .

ومن تلك الانحرافات هي التي تظهر في زيّ التجديد (تجديد الحداثيين) « إن التجديد عند الحداثيين يعني تطويره وتعديله بالزيادة عليه والحذف منه وتهذيبه ليتلائم مع المفاهيم السائدة في العصر الحديث ولقد نشأت حركة تطوير الدين عند الغربيين أولاً وعرفت عندهم باسم « العصرانية » ثم أراد دعاة التغريب في عالمنا استيرادها ونقلها إلينا»^(١) وتجدد هؤلاء هو انحراف فكري في الحقيقة ينبغي بيانه لأن تجديدهم يسعى إلى :

١ نسف الدين عقيدة وعبادة وسلوكاً بحجة عدم الحاجة إليه وإننا لسنا بحاجة إلى تعاليم السماء.

٢ تقديس العقل وتقديمه على النقل حتى أصبح العقل هو الحاكم على النص وليس تابعاً وفاهماً له كما مر ذلك في كلامنا عن العقل والنقل .

٣ إنكار الغيبات إنكاراً كلياً أو تأويلها بما يتوافق مع نظرتهم التجديدية. تذيب الحواجز بين الإيمان والكفر .

٤ التساهل مع الفرق الضالة والسعي للتوحد معها وهو انحراف فوق انحراف .

تجديد الخطاب الدعوي ومناهضة التطرف : بادئ ذي بدء جاء الإسلام بشريعة سمحة ووسطية لا غلو ولا تساهل لا إفراط ولا تفريط ولذلك قال الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (البقرة/١٤٣) ، والوسطية ليس معناها أن يتجاوز الناس في الحقوق والحدود

١- عدنان محمد أمانة : التجديد في الفكر الإسلامي ، دار ابن الجوزي ، (رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإمام الأوزاعي - بيروت) ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م . بتقدير ممتاز ، ص ٣٧٣.



بدعوى الوسطية أو يتنازلوا عن ثوابتهم وعقائدهم ومبادئهم بحجة الوسطية بل الوسطية في أعلى درجاتها هي التي تحكم الشرع وتأخذ به ، والتطرف هو نوع من عدم الوسطية لأن الوسطية ليس فيها جمود بل وسطية الإسلام تعني صلاحيته وموائمته للزمان والمكان ، ولذلك في تعريف التطرف نحدد خصائص من يطلق عليه لفظ المتطرف فالتطرف عموماً هو التجاوز ، لكن لفظ المتطرف « هو شخص يتصف بالتصلب rigidity والتمسك الفكري أو العقائدي (الجمود الفكري) Dog-Matism والتعصب Prejudice وربما يميل لأن يمارس أفعالاً إرهابية^(١) Terrorism » ، فالتصلب يشير إلى حالة من الاحتفاظ باتجاه أو رأي أو التمسك بأسلوب للعمل بالرغم من أن الشواهد العديدة تؤكد أن مثل هذا التمسك ليس صواباً ويعني التصلب - أيضاً - انخفاضاً في القدرة على «عدم تعلم» Un learning ما هو قائم ومستقر من فكر ونظام سلوكي فالشخص المتصلب يفشل في «عدم تعلم» جهوده الخاطئة أي يفشل في إلغاء تعلم حالة سبق له أن تعلمها وثبت فشلها وهذا «الاستقرار» والجمود لتلك الأنماط المتعلمة لا يفسح الطريق أمام تعلم جديد وهكذا فإن التصلب يتضمن مقاومة التغيير .

أما عن الجمود الفكري يشير إلى حالة من عقل منغلق ويرتبط التمسك الفكري بالتصلب من وجهة أن كليهما يؤديان إلى مقاومة التغيير إلا أن التمسك الفكري يأخذ شكله المتفرد الخاص بالتعصب وعدم التسامح ويتجنب الشخص المتمسك عقائدياً إقامة علاقات مع من تتعارض اتجاهاته مع اتجاهاتهم لأن في ذلك تهديداً لنظم معتقداته أما التعصب يشير إلى اتجاهات نحو أفراد أو جماعة أو طائفة معينة الأمر الذي يؤدي إلى تقييمهم في إطار خاص وهو إطار سلبي عادة على أساس انتمائهم فقط إلى تلك الجماعة أو الطائفة ومحور ظاهرة التعصب هو العدوان^(٢) وقابليته للتبرير والاسقاط

١- عزت سيد اسماعيل : سيكولوجيا التطرف والارهاب ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ، الحولية السادسة عشرة ، ١٤١٦هـ/ ١٤١٧ .
الرسالة العشرة بعد المائة ١٩٩٥ - ١٩٩٦م ، ص ٢٨ .
٢- انظر : المرجع السابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

والنقل والتعصب يؤدي وظيفة نفسية تتلخص في التنفيس عما يثور في النفس من عوامل الكراهية والعدوان ، « وأحد المظاهر الأساسية في التطرف تتلخص في وجود رابطة قوية بين الاتجاهات والسلوك لدى المتطرف بمقارنته بغيره من الناس وهكذا فإن نظم المعتقدات لدى المتطرف (أي اتجاهاته) تلعب دوراً أكبر في صياغة سلوكه وعادة ما يكون لدى المتطرف فكرة معينة عما حوله من منظور معين إلا أن وجهة النظر هذه تكون على غاية من التطرف وتشكل القاعدة التي يفسر من خلالها كل شيء وتحدد سلوكه وعادة ما تكون متعلقة بقضايا أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية وهناك مظهر هام آخر من خصائص المتطرف يبدو في عدم رغبته الوصول إلى حلول توافقية وفي رفضه لوجهات النظر البديلة وعندما يصطدم الواقع باتجاهاته فإنه يرى أن الواقع مزيف وفي مثل تلك الحالات فإن المرء وقد أصبح مهووساً عقائدياً فإنه يبرر اتجاهاته وسلوكه من خلال إحساس زائف بالتفوق عن أولئك الذين يختلفون معه»^(١).

وبعد عرض تعريف المتطرف سيكولوجياً ونفسياً ينكشف لنا بعض المهمات وهي :

أولاً : التطرف وإن كان عقائدياً أو أيديولوجياً فكرياً إلا أن له عاملاً نفسياً مؤثراً فيه ويغذيه وقد يقوده إلى تخطي الصعاب لتحقيق تلك الأيديولوجية حتى وإن كانت باطلة .

ثانياً : التطرف يناقض التجديد لأنه منغلق متوقف عند مجموعة من الأفكار وانغلق عليها والإسلام العظيم بشرائعه المنيفة لا يقبل التطرف ولا يدعو إليه لأن شرائع الإسلام فيها من المرونة والتكيف مع أحوال الناس ما يجعلها تناقض التشدد والجمود والانغلاق .

ثالثاً : المتطرف يكابد عاملين أساسيين عامل الفكر وعامل النفس مما يودي بصراع دائم في نفس المتطرف لا تنفك عنه بحال بل كلما تأكدت لديه الفكرة زادت عنده الحالة النفسية التي ترفض التغيير

١- المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤

وتتأبى على الواقع .

ومما ينبغي التنبيه له والحذر منه أن التطرف عند البعض أصبح تهمة ينادي بها كل متمسك بدينه وشريعته وعقيدته وهذا هو في حد ذاته انحراف وتطرف لأن المتمسك بصحيح الإسلام وبالعقيدة والإيمان به سبحانه وتعالى هو في حد الاعتدال ليس في جانب التطرف والتنبية على ذلك في غاية الأهمية لكي لا تهولنا التهم عن رد الباطل وإحقاق الحق ، لذلك يمكننا أن نقول إن تلك المصطلحات ينتابها كثير من التشويش بفعل الايديولوجيات المختلفة والمتصارعة فليس مجرد الاتهام يكون كافيا في إسقاط الحكم على الناس حتى يتبين ذلك الحكم على الشخص المراد قولاً وعملاً ثم نضع أقواله وأفعاله على ميزان الشرع الشريف ذلك الميزان الذي لا يختل في عدل وانصاف كاملين ، « مصطلح التطرف معناه مجاوزة الوسط في كل شيء في الاعتقاد والسلوك والآراء ومجاوزة الوسط قد يكون بالإفراط والغلو فيولد التطرف وقد يكون بالتفريط والإهمال فيولد الانحلال والتسيب وكلا الطرفين مذموم شرعاً وعقلاً»^(١).

لكن هاهنا نقاط في غاية الأهمية تتمثل في تحديد معيار التطرف حتى لا تلتبس المصطلحات كما مر ذكر ذلك فليس المعيار مرتبطاً بكلام المتعالمين أو الإعلاميين المؤدلجين أو المفكرين أصحاب الأجنداث أو انصاف العلماء الذي لا يستطيعون تحديد المفاهيم فضلاً عن تنزيلها على الأشخاص والأفكار وكما تقرر منطقاً وعقلاً أن الحكم على الشيء فرع عن صورته فأنى لإنسان لم يضبط المصطلحات ويحررها أن يفهم هذه القضية؟!

فالبعض يرى كما ذكرنا أن الالتزام بالشرائع تطرفاً فيعدون الحجاب وتحريم الخمر والمسكرات والالتزام بالعبادات الظاهرة تطرفاً وهذا مقياس مختل ينبئنا عن قدر من يتكلم ويناقش القضايا .

إلا إن التطرف له معيار شرعي واحد وحكم ديني فالتطرف يساوي التشدد والتتبع والغلو وقد جاءت آيات القرآن داعية إلى اليسر

١- محمد السيد الجليد ، محمد عبد الله الشرقاوي : دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ش مطبوعات قسم الفلسفة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٥٨.

والوسط وعدم التشقيق على النفس وتحميلها فوق طاقتها كما قال تعالى: « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (البقرة/ ٢٨٦) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « هلك المتطعون^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم: « إن هذا الدين يسر فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا^(٢) »، فالتطرف والغلو مردود ومذموم غير مقبول فما كانت تعاليم الإسلام وشرائعه يوماً تطرفاً وما كان المتمسك بها متطرفاً لأن طبيعة هذا الدين تأبى ذلك ولا تقبله وتحقيق ذلك الأصل وبيانه هو مسئولية تجديد الخطاب الدعوي، بل على الخطاب الدعوي أن يذكر الجماهير بقضية خطورة تلك المصطلحات التي وصم بها المسلمون من قبل أعدائهم زوراً وبهتاناً وبغير حجة ولا دليل فالتبرأ من ذلك لن يستطيعه كل الناس وإنما يقتدر عليه المخولون بتجديد الخطاب الديني فالحرب مستعرة ولا يقوى على غبارها كل الناس، والتطرف هو انحراف فكري غير مقبول في الشريعة الإسلامية لأسباب هي:

أولاً: يصرف الناس عن الحق الذي أتت به الشريعة السمحة القويمة

ثانياً: يدعو الآخر أن يرجى الإسلام بكل النقائص .

ثالثاً: يوقف قاطرة التجديد الديني لأنه يخالفه .

رابعاً: بل يعطل قافلة التعمير والبناء لصرح هذه الأمة الشامخ .

خامساً: الانحراف الفكري هو بمثابة الجرثومة المضرة في حديقة الإسلام التي تأكل نضارته وتعكر صفوه .

أبرز سمات المتطرف: إن المتطرف كما مر من تعريفه سيكولوجياً واصطلاحياً له سمات تميزه ليست هي صفات المتمثل لتعاليم الله تعالى وشريعته الغراء فهو يخالفه وليس منه في شيء:

أولاً: المتطرف والمنحرف فكرياً في معظم الأحيان يجهل العلم بمراتب الأحكام فيضع المندوب في مقام الواجب أو السنة ويخلط

١- رواه مسلم ٢٠٥٥.
٢- البخاري ٩٤/١

بين المكروه والحرام ويترتب على ذلك قلب الأحكام الفقهية فيهتم بالمندوب والسنة على حساب الفرائض والواجبات ويتشدد في المكروه على حساب المحرمات ومثال ذلك تركهم للصلاة خلف من يظنونه مخالفا لهم في أفكارهم ، ومن ذلك انزالهم الخلاف الفقهي منزلة الأحكام .

ثانياً : الاستبداد بالرأي والتعصب والتحامق مع المخالف وقد يكون ذلك في معظم الأديان عن جهل وقلة علم وإعجاب كل منهم برأيه واحتقار الآخرين وهذه كلها مواقف تتنافر مع روح الإسلام ونصوصه وتجديد الخطاب الدعوي يسعى إلى عدم التعصب واعمال فقه الخلاف ومراعاة مرتبته .

ثالثاً : إنهم يقرنون بين الخطأ والإثم دون تفرقة بين من يخطئ عن جهل ومن يخطئ عن قصد ولا بين المجتهد المخطئ والمتعمد خطأه فلا يتأولون للعلماء ولا يأخذون بضوابط ذلك أصالة .

رابعاً : عدم الاعتراف بالآخر وسوء الظن بالآخرين واتهامهم في عقيدتهم والطعن في تراثهم وذلك لمجرد المخالفة له في افكاره عياذا بالله من هذا الحال وهذا نراه كثيراً عند بعض من ينتسب للعلم ويلبس لباسهم وهو ليس منهم .

خامساً : الطعن في العلماء والتشويش عليهم واتهامهم في كثير من الأديان ولا يراعون في ذلك قدر أهل العلم وعظيم شأنهم في الدين إذ إنهم المبلغون عن الله تعالى شرعه ودينه وهم على كل ذلك ليسوا بفاهمين لمرادات العلماء ومجملات أقوالهم فهم أجنيون عن كلامهم ليس لهم في العلم وتحقيقه نصيب يذكر .

سادساً : الميل والجنوح الي التشدد والتعسير على الناس وإلزامهم بما لا يلزم معتمدين في ذلك على بنية مفاهيمه تعلموها على يد أنصاف العلماء أو قروءها من الكتب لم يتعلموها من عالم ثبت ثقة فما أوتوا إلا من قبيل جهلهم بمراتب الأعمال والأحكام فضلاً عن عدم أهليتهم للنظر في كتب العلماء الاثبات فضلا عن أن يكونوا أصحاب دعوة لذلك الانحراف والتأطير المزيف .

سابعاً: التكفير للحاكم والمجتمع بدون ضوابط ومن المعلوم أن التكفير مسألة لا يجوز أن يقدم عليها إنسان لا يعرف ضوابطه وقيوده فضلاً عن اسقاطه على الأشخاص والجماعات فالمؤمن لو احتمل الكفر من تسعة وتسعين وجه ويحمل الإيمان من وجه واحد لحملناه على الإيمان ، فكيف لأحد أن يتجرأ على إخراج أحد من الدين بالظن وهو قد دخله بيقين نعوذ بالله من حال هؤلاء الذين أسأوا للعلم والدين والشريعة وكذلك أساءوا للعلماء الذين ألصقوا بهم هذه الأقوال المجحفة والتكفير المرسل بلا بينة كيف لمسلم يقبل أن يكون في هذه الحالة ؟

والانحراف الفكري في مسألة التكفير سنعالجه في مبحث آخر إن شاء الله تعالى .

بذور التطرف والإرهاب وتوابعهم قديماً وحديثاً: لم يكن لفكرة أن تنمو أو تظهر حتى يكون لها أساس معرفي أو فكري أو نفسي أو اجتماعي وبذور التطرف والإرهاب ليست وليدة ذلك الزمان المتأخر بل هي تحمل جينات الماضي وما إن تجد الوضع ملائماً حتى تفرخ فيه جنينها الممخج أخرجته مشوها وكذلك كان إفراز وولادة ذلك القبح الذي انقلب على الدين وأهله تشويهاً وتنقيصاً في ظل عالم يسود فيه الجهل بالإسلام وأخلاقه وشرائعه .

مما يجعل المسؤولية كبيرة على أصحاب الخطاب الدعوي والديني والفكري الإسلامي مسؤوليات تنوء بها الجبال فنحن ما بين أمرين أحلاهما مر عدو متربص يبتغي إرادتنا وتشويه عقيدتنا وبين من هم من جلدتنا ويسيون إلينا إساءة أعظم من إساءة عدو لنا فلزاماً على المعنيين أن يقوموا بخطوات مهمة في هذا الشأن :

أولاً: يردوا هذا الانحراف ويدحروه ويوقفوه عند حده حتى لا تتفاقم الجريمة وتتعاظم المصيبة فيصعب علينا بعد ذلك تجاوزها أو التأثير فيها فتكون وبالاً على الأمة بأسرها .

ثانياً: نقض حجج التطرف والإرهاب حجة بحجة فكرياً بفكر بعيداً عن الجانب القانوني والأذى فليس هذا لأهل العلم وإنما أهل العلم



يقارعون الحجة بالدجة والكلمة بالكلمة حتى يحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة أما الجانب الأمني والقانوني والجنائي فيحدده المختصون في ذلك^(١)

وإن معرفة أساس كل بدعة وانحراف يسهل علينا المهمة في تحجيمها من خلال معرفة هذا السرطان وجذوره فنعالجه معالجة ميكروسكوبية فنضعها تحت المجهر ونحدد موطن الأذى مما يسهل علينا استئصاله ونقله بعدها كما يلقي أحدنا قذره وما تعفن .

فرقة الخوارج وبذرة التطرف : يكاد يجمع جمهور مؤرخي الفرق أن الخوارج من أوائل البدع التي ظهرت في الإسلام وأثرت في مجريات الأمور وكانت سببا في فتح باب فتنة كبرى « فالخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وهم حزب سياسي ديني قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه وهم لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين بل خارجين من أجل الدين ومن أجل إقامة شرع الله غير مباليين بما يحدثه ذلك الخروج من فرقة وانقسام وأحداث دامية وهم مجاهرون بدعوتهم متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مباليين بما يؤدي إليه تطبيق هذا المبدأ من قتل المخالفين سرا أو علنا ولقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه حتى أصبح علامة من علاماتهم وراموا إقامة دولة إسلامية على الدين بلا بينة ولا نظر صحيح لذلك ذكر الإمام الأشعري عنهم عقائدهم فقال تحت عنوان : جماع رأي الخوارج : « أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - أن حكم , وهم مختلفون : هل كفره شرك أم لا ؟ وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا « النجدات » فإنها لا تقول ذلك وأجمعوا على أن الله - سبحانه - يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما إلا « النجدات » أصحاب « نجدة » وأول من أحدث الخلاف بينهم « نافع بن الأزرق الحنفي »^(٢) ، فلأجل اختلافهم وما تخمر في أذهانهم

١- انظر في ذلك كتاب د/ أحمد الضبع : إشكالية مواجهة الإرهاب بين النظرية والتطبيق ، موسوعة الثقافة القانونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٩م ، إيداع ٢٠١٩/٢٤٧١ .

٢- علي عبد الفتاح المغربي : الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة ، مكتبة وهبه ، ط ٢ ، ٢٠١٥هـ / ١٩٩٥م ، ١٦٩ .

٣- الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية - بيروت - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ج ٢ ، ص ١٦٧-١٦٨ .

من مسائل هم أبعد ما يكون فيها من الصحة كفروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وإننا إذا أسقطنا الكلام المتقدم في أوائل المبحث على الخوارج لتبين تطابق الكلام هاهنا لأن التطرف كله يشبه بعضه في سفاهة الرأي وقزامته لا يحمل كبير فهم ولا روية بل التعجل والتسرع في الحكم فحسب .

وهناك **عوامل تميز بها فكر الخوارج** ومن أهمها: ^(١)

١ فكر ظاهري : لقد كان فكراً ظاهرياً يعتمد على التمسك بظاهر النصوص الدينية وهو ما جعل ثقافة الغلاة منهم تنحصر في حفظ هذه النصوص قرآناً وسنة دون فهمها على أوجهها الصحيحة ولا نجد عندهم إعمالاً يذكر للعقل في فهم هذه النصوص ونأديتها ومضامينها ومقاصد الشريعة فيها ومراميتها كما لا نجد عندهم اجتهاداً يذكر في القياس الفقهي أو في تأويل ما يمكن تأويله من هذه النصوص حين يتعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول تعارضاً ظاهرياً .

٢ فكر لا يخلو من تناقض : يؤدي الفكر المتناقض في المذهب الواحد إلى نتائج أقل ما توصف به أنها سلبية تفقد المذهب مصداقيته وتزعزع الثقة به في نظر الآخرين كما يؤدي إلى انقسام أصحاب المذهب على أنفسهم فينقم بعضهم على بعض ويكفر بعضهم بعضاً ولا يجمعهم جامع من رأي أو موقف واحد تجاه المسائل أو المشكلات التي تواجههم فكراً وعملاً .

٣ فكر متطرف : فلم يكن فكر الخوارج فكراً متناقضاً فحسب بل كان أيضاً فكراً متطرفاً فيه من الغلو والتطرف ما يعد سمة بارزة من سماته الرئيسية ومعلوم أن التطرف في الأفكار والآراء والأحكام يؤدي إلى التطرف والجنوح في الفعل والسلوك والتوجهات العملية في المواقف المختلفة ولا غرابة في ذلك من حيث إن الفعل والسلوك يعتبر ترجمة صادقة وتعبيراً واقعياً عن طبيعة الفكر والمعتقد الذي

١- انظر محمد أبو سعده: الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي، ط ٢ - القاهرة، ١٩٩٨م، ايداع ٩٤/٩٩٥٨، ص ٨٢ وما بعدها .

يعد أهم منطلقات السلوك الإنساني ومنابعة الرئيسة .

٤ إيمان عميق : لا يستطيع باحث منصف أن يشكك في قوة إيمان الخوارج وتقواهم وإخلاصهم في العبادة وحبهم للإسلام وجهادهم في سبيل الله - بمفهوم خاص للجهاد عندهم - اعلاء كلمة الله لكنهم فهموا الإسلام والجهاد في سبيل الله فهما يغلب عليه الخطأ والتشدد والتطرف بحيث إنهم اعتبروا أنفسهم وحدثهم المؤمنين حقا وأن من سواهم من المسلمين لا يبلغ درجتهم في الإيمان والجهاد ومن هنا كانت توجهاتهم السياسية مبالغاً فيها إلى حد صارت معه هذه التوجهات أطماعاً وطموحات يسعون إلى بلوغها بكل ما أوتوا من قوة .

٥ روح ثائرة : لم يكن الإيمان العميق والتشدد في العبادة هو كل ما تميز به الخوارج بل كانوا إلى جانب ذلك يتميزون بحماس ديني يتبدى في اندفاع وتهور ورفض يعبر عن روح ثائرة تآبى الإذعان أو التواؤم مع معطيات الواقع الديني والسياسي للمجتمع الإسلامي آنذاك .

فقه قاصر : بالرغم من أنه كان لكل فرقة من فرق الخوارج بعض إراء الفقهية والدينية فإنه لم يؤثر عن الخوارج في مجمعهم فقه واسع متعمق اللهم إلا فقه الإباضية منهم فهو فقه دقيق عميق يقارب فقه المذاهب الأربعة في أكثر الأحوال^(١).

ورغم أن الخوارج كانوا يحفظون القرآن ويجيدون قراءته وتلاوته ولهم إمام بالسنة النبوية المشرفة فإنهم كثيراً ما فهموا الآيات فهما ظاهرياً مغلوطة وهو ما أدى إلى أن يكون الفقه الخارجي قاصراً بوجه عام وبغض النظر عن بعض الآراء والأحكام الفقهية الصحيحة التي انفرد بها قليل من رجالهم وزعمائهم ثم لم تنقطع الفكرة عند انتهاء الخوارج تاريخياً أو زمنياً بل لا تزال الفكرة تتناقلها التيارات المنحرفة وتتخذها في أدبياتها عند التمكن من ذلك .

الخطاب الدعوي وحكم مرتكب الكبيرة : وتلك قضية محورية في

١- محمد أبو زهرة : المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد ، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٧٦ .
- انظر : علي يحي معمر : الإباضية في موكب التاريخ ، مراجعة سليمان الحاج إبراهيم بابيز ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، السبب / سلطنة عمان ، ط ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

تاريخ الجدل العقائدي بل أصبحت علامة وشعاراً على جماعات التصرف والإنحراف وإن من مقاصد العقيدة أننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحمله وهكذا ذكر الطحاوي في عقيدته^(١) ، وقد قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » (النساء ٤٨/) ، قال الإمام الطحاوي : « وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم كما ذكر عز وجل في كتابه « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يعيئهم إلى جنته ذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته . اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به »^(٢) .

- تعريف الكبيرة : هي ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد شديد في الآخرة ، هذا هو حد الكبيرة وأهل السنة ووسط بين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة وبين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية .

والخطاب الدعوي الواعي الذي نريد تجديده ينظر في هذه القضايا العقائدية فيظهرها للناس مبيناً خطأ وظل هؤلاء التكفيريين الذين يكفرون الناس ويستحلون دماءهم فتكفيرهم يفرز قتلاً ودموية . والخطاب الدعوي ووسطي وتجديده يهدف في معالجة قضية مرتكب الكبيرة :

أولاً : خطاب شقوق رفيق بالناس لا يقنطهم من رحمة الله تعالى .
ثانياً : لا يهون من شأن المعصية حتى لا يستهين الناس بالحرمان ويقترفوا الموبقات فتفسد الدنيا والعباد والبلاد .

١- ابن أبي العز الحنفي : شرح الطحاوية ، ت/ احمد محمد شاكر ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ / ايداع : ١٧٠٤١٢ ، ص ٢٩٦ .
٢- المصدر السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

ثالثاً: إعلام المخاطبين بما يعطيهم الأمر في أنفسهم أن هناك أعمال من الخير والبر والمعروف ما يكسب الإنسان حسنات ويمحو عنه سيئات ويمنحه فضلا من الله وثوابا منها الوضوء والصلاة والسعي إلى المساجد والصدقات وصلة الأرحام .

فتنة التكفير والتفجير وموقف الخطاب الإسلامي: إن تجديد الخطاب الدعوي في هذه الآونة المتأخرة أصبح أمراً مشروعاً بل مفروضاً لأن الساحة الدعوية اقتحمها أناس استطاعوا أن يشوهوا صفاء الدين ونقاءه بأفكار فيها نوع من التطرف والخروج على المألوف من حيث الاقوال والأفعال والأحكام الجائرة .

ومن هذه الافكار التي كانت سببا في فساد عريض حل ببلاد المسلمين فكر التكفير والتفجير وقد ذكرنا من قبل أن التكفير والتفجير ولدا من رحم الجهل وغذيا بلبان سوء الفهم للنص فأنتجا تحريفاً ومولوداً مشوهاً لا يمت للإسلام بصلة فليس منه ولا يحمل شعاره بل هو بريء منه براءة كاملة .

وتجديد الخطاب الدعوي يسعى وبقوة نحو استئصال أي فكرة منحرفة ومن ذلك فتنة المجازفة في الأحكام العشوائية للناس بالتكفير تارة وبالتبديع تارة وبالتفسيق تارة أخرى بل اصبحت تلك الشنشنة تتردد على السنة ضعاف الحجة الدينية بل والمريدين لتشويه صورة الإسلام في نفوس الناس والعمل قائم على قدم وساق .

يقول فندي في سياق عجيب من صور تشويه الإسلام في أمريكا: « إن بعض الصور النمطية المشوهة للمسلمين تثير الشعور بالخوف وثمة مثال واقعي لذلك حدث في نيويورك في يوليو عام ١٩٩٩م حينما كان ريجينا لكوري بحاجة إلى مال للحصول على هيروين ، ومن ثم تظاهر بأنه مسلم أمام صراف بأحد البنوك وسلمه مذكره صغيرة مكتوب عليها هذه العبارات « بسم الله إن بحوزتي قبلة وإنني على استعداد للتضحية بحياتي من أجل قضية الإسلام ضع كافة الأموال في الحقيبة ولا تحاول أن تصبح بطلاً» وسرعان ما أذعن الصراف الذي اصابه الرعب لهذا الطلب غير أن هذه الخدعة الكاذبة تم اكتشافها

فور القاء القبض علي كوري وفي أحداث أخرى أدت تلك الصور الزائفة للإسلام إلى انتشار واسع النطاق لنزعة التعصب الأعمى كما أدت إلى أشكال أخرى من عدم التسامح الديني بل وحتى إلى أعمال عنف مدمرة ففي السنوات الأخيرة كانت هناك مساجد استهدفتها عمليات اشعال حرائق متعددة في مدينة يويا بكاليفورنيا ومدينة سبرنجفيلد باللينوء ومدينة جرنيفيل بكارولينا الجنوبية وفي مينا بوليس كما حدثت أعمال تخريب متعددة ضد مساجد في ميتشجان وأنديانا وماسا سوشيتس ونيو جيرسي وجرجيا» ، وهذه التصورات الخاطئة نحو الإسلام رسختها عوامل كثيرة منها :-

- 1 حقد أعداء الإسلام وحنقهم عليه وعلى الدعوة الإسلامية في العالم أجمع مما سول لهم تشويه صورته وتعظيم خطره المزعوم على العالم .
- 2 جهل بعض أتباع الإسلام العظيم وتسببهم في تشويه صورته لدى الآخر بل لدى بعض المسلمين ضعاف القلوب والإيمان .
- 3 السهام المأجورة للنيل من الإسلام وأهله عن طريق ترسيخ سياسة الكراهية والعنف ضد الناس على اختلاف دياناتهم وأطيافهم ومناهجهم حتى صار التكفير مستعرا بين بعض التيارات الإسلامية .
- 4 الاعتماد على كتابات بعض العلماء القدامى وسوء التصور لمسائلها فحملوا كلام العلماء ما لم يحتمل وذلك لفساد عقولهم وقلّة بضاعتهم في العلم .
- 5 عدم تمييز الوقائع التاريخية ومناسباتها والأحكام المتعلقة بها .

التكفير حكم إلهي : لقد ورد لفظ الكفر في القرآن العظيم وصفا لبعض الافعال التي فيها صرف العبادة لغير الله تعالى أو إنكار أو تكذيب وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الكفر على بعض الأعمال من المخالفات التي لا تصل إلى حد الكفر المخرج من الملة .

١- بول فيندلي : كفى صمعا مواجهة تصورات أمريكا عن الإسلام ، ت/ عادل خليفة ، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات ، ٢٠٠٥ م ، ص ٦٩ .



● إذا الكفر نوعان : الأول : كفر أكبر : وهو الكفر الذي به يخرج صاحبه من الملة وهو ما يكون من عبادة إله غير الله أو إنكار معلوم من الدين الضرورة أو إنكار فريضة من فرائض الدين كالصلاة والتكذيب بشيء من الدين و الثاني : كفر أصغر : وهو فعل مخالفة للدين لكن لا تصل إلى حد الكفر فصاحبها لم يخرج من الملة وإنما هو ارتكب ذنبا هو خصلة من خصال الكفر .

وقد ذكرت هاهنا شيئا من التفصيل في تلك القضية الشائكة لأنها أصبحت أزمة خانقة وبلاء عظما اجتاح الأمة وخطره الآن أصبح محققا وليس بعيدا عنا بل هو في عقر دارنا

موانع التكفير : لكن العلماء بينوا أن هنالك موانع تمنع تكفير الأعيان أو الأشخاص فقد يقع المرء في الكفر ولا يكون كافرا وقد يقع في البدعة ولا يكون مبتدعا لأن هنالك من الموانع الصارفة عن سقوط الحكم عليه فهناك خطأ كبير يقع فيه كثير من الجهال وهو عدم التمييز بين كفر النوع وكفر العين فكل فعل ورد في القرآن أنه كفر فهذا تكفير للفعل وليس لصاحبه أما تكفير العين فقد يحول بينه وبين الكفر موانع ولا بد من ذكرها حتى يستبين الأمر ويتضح فهناك موانع تكفير العين حتى وإن أتى شيئا مكفرا ووضعها العلماء من أهمها :

أولا : الخطأ : وقد قال الله تعالى : « ربنا لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » (البقرة ٢٨٦) ، فالخطأ صارف عن التكفير إذا أخطأ الإنسان ففعل فعلا كفريا فالإثم مرفوع عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ، والخطأ قد يكون عن عمد وقد يكون عن غير عمد والخطأ إذا كان عن غير عمد سواء في المسائل العقدية أو العملية الفقهية فصاحبه مغفور له ، فالشريعة ليست متشوفة لإيذاء أحد فالشغف عند البعض في تصيد الأخطاء عند الناس والصاق تهمة التكفير بهم فهذا باب عظيم خطير لا ينبغي أبداً التجاسر عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما »^(١) ، فيجب الحذر من التسرع في

١- البخاري : كتاب الأدب ، باب : من كفر أخاه ، نص تأويل فهو كما قال .

تكفير الناس وبعض الجهال الآن يقولها لأصحابه مستهترا مستهزئاً وكأنه شيء يجوز قوله بلا مانع .

ثانياً : الجهل : هذا عذر من التكفير للشخص لأن الجهل غطاء على العقل لا يدرك المرء من خلاله ما يصنع بل من لم تبلغه دعوة الإسلام فإنه يرفع عنه العذاب والإثم والمؤاخذه لذلك قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » (الإسراء / ١٥) .

ثالثاً : الإكراه : وهذا عذر مانع من موانع التكفير : وذلك لأن المسلم قد يقع في قول الكفر وفعله وهو مكره فهذا لا تثريب عليه وليس عليه إثم وقد قال الله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان * ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليته غضب من الله ولهم عذاب عظيم » (النحل / ١٠٧) .

رابعاً : لا يكفر المسلم إذا ارتكب معصية : فالمعصية لا تصل لحد الكفر كما بينا قبل ذلك فكل معصية دون الشرك مغفورة مجبورة بالإيمان المستقر بالقلب وسواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة دون الشرك فهي تحت المشيئة إن شاء غفر الله له على ذلك وإن شاء عذبه لكن لا تكن احكامه كحكم الكافر بلا شك .

خامساً : التأويل : وهو مانع من موانع التكفير إذ إن المتأول اتخذ مسألة أو حكماً متأولاً إياه فهو وإن قال شيئاً من الكفر أو البدعة فلا يكون كافراً لأنه تأول الأدلة ولم يتقصدها ، وليس بتفريط منه وإنما هو سلك الطريق للوصول إلى الحق فضله وأخطأه .

سادساً : العجز : فالعجز عن أداء شيء من الشرائع الإسلامية خوفاً على نفسه أو تخوفه من شيء أو أذى يحدق به فإن عجز عن فعله واتقى الله ما استطاع فإنه معذور غير مؤاخذ به ولذلك قال تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (البقرة / ٢٨٦) .

ما يمحو الكفر بعد ثبوته على الشخص المعين : لقد أساء بعض الجهال بالأحكام الجائرة على أناس حينما حكموا على بعضهم بالكفر ثم تبع ذلك قتل وإزهاق للروح وهذا فيه افتئات على الله تعالى



فليس معنى وقوع الكفر استباحة القتل فوقوع الكفر الذي هو أكبر ذنب له ماحيات ومكفرات من الأعمال منها :

التوبة : فمن تاب من كفره تاب الله عليه وغفر له وتلحق الكفر التوبة فتمدحو آثاره وكأنه لا شيء وقد قال تعالى : « قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » (الزمر / ٥٣) , وقال تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » (الأنفال / ٣٨) , فمن تاب من فعل شيء من المكفرات من استتلال حلال أو سب دين أو سب الله تعالى أو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة فتاب وأناب إلى الله تعالى وجدد العهد معه فإن الله كريم رحيم يقبله ويغفر له وبالتوبة يزال لفظ الكفر عن الشخص الذي كان متصفا به من قبل ولا يجوز أن نقنط الناس من رحمة الله تعالى .

خطورة التكفير : تكمن خطورة المجازفة بالتكفير والتجاسر عليه في أمور :

■ **زعزعة الأمن للأفراد والمجتمع :** حينما يعيش الناس تحت مقصلة التكفيريين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فيعيشوا حالة من الاضطراب ممن أسلطوا عليهم سيوف الإرهاب والتخويف وهذا مما يدعو إلى القلق وعدم الاستقرار المجتمعي ، « الاتهام بتكفير المسلم هو رأس الخطايا التي ارتكبتها حركات التكفير التي تبرر لها شن الحرب على المسلمين وعلى الأنظمة الحاكمة إذ ليس بعد الكفر ذنب ! وهي متى نسبت الكفر إلى حاكم أو نظام أو شعب أو مذهب وهو ما تفعله مع خصومها في الفكر الديني أو النظام السياسي فإنها في معتقدها استتلت الدماء ووجب عليها قتالهم لأنها تطبق الشريعة وتذود عن الدين ، فهؤلاء في زعمهم هم الكفرة القريبون منها أمروا بقتالهم : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » (التوبة / ١٢٣)^(١) ، والتكفير خطورته عند أصحابه أنه يجر إلى تكفير آخر ، فعند بعض جماعات التكفير أن

١- محمد الشحات الجندي : الإسلام المعاصر ولجنة النهوض الحضاري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥م ، إيداع ١٩٠١٩ / ٢٠١٥م ، ص ١١١.

من لم يكفر الكافر فهو كافر فيزدادون أشراً وبطراً على الإسلام وأهله وما جناه المسلمون من ويلات من أهله أشد ما ذاقه من عدوه , وقد كتب المحامي منتصر الزيات وهو واحد من الجماعات الإسلامية ومقرر من مقرريها يقول ويقرر أن ما فعله بن لادن وأيمن الظواهري أصاب جميع الجماعات الإسلامية والتي لم يدر بالها شيء مما حصل في أمريكا من استهداف وتفجيرات فجعل فصلاً بعنوان « كل الإسلاميين دفعوا ثمن أخطاء الظواهري »^(١) ولننظر كيف جنت الحماسة غير المنضبطة كيف جنب على أهلها ثم على الإسلام وأتباعه من بعده وعاش المسلمون ويعيشون تحت وطأة اللوم الدائم عما حصل بسبب بعض من ينتسبون إليهم وهذه مآلات الحماسة التي تجني على أهلها .

أسباب ظهور الجماعات المتطرفة : هناك اسباب كثيرة حول ظهور الجماعات الإرهابية المتطرفة وقد ساهمت بشكل كبير في افراز الكارثيات والمصائب التي حلت ببلاد المسلمين وهي :

■ العنف الإجرامي تحت إطار عقائدي : فالإرهاب والتطرف يعيش حالة من العنف الإجرامي يقول فيه د/ فرج أحمد : « نبدأ بالانطباع التشخيصي الذي يمكن للأخصائي الإكلينيكي الخبير أن يستخلصه عن تفاصيل الحالة : إننا بإزاء عنف إجرامي أولاً وأخيراً وصلة هذا العنف الإجرامي بالإطار العقائدي الذي يحاول أصحابه أن يربطوه به صلة مفتعله إن الإطار العقائدي هنا أشبه بقناع يختفي وراء هذا الاضطراب النفسي البالغ ودور هذا الإطار العقائدي أشبه بورقة توت يستتر وراءها هذا الاضطراب لكنها لا تلبث أن تسقط وتكشف عنف هذا الاضطراب فيما يتردى فيه أفراد المجموعة من أعمال عدوانية تصل إلى حد القتل^(٢)»

وقد تكلمنا عن هذا السبب في نشوء التطرف في دراسة المصطلح في بداية المبحث إلا إن الدراسات السيكولوجية النفسية لهذه

١- منتصر الزيات ، أيمن الظواهري كما عرفته ، دار مصر المحروسة ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ايداع ٢٦٢٢ / ٢٠٠٢م ، ص ١٧٣ .
٢- فرج أحمد : السلوك العدواني تحت تأثير المعتقدات الدينية ، ضمن (المتشددون المحدثون دراسة اسلامية معاصرة) اشرف / احمد خليفة ، ت/ سهير لطفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣ ، ايداع ١٧٨٦ / ٢٠١٣م ، ج١ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

الظاهرة تؤكد « عدم توافر مبرر عقائدي حقيقي لأفعال القتل هذه يعني أن المبرر الحقيقي هو المبرر السيكولوجي الداخلي وهو العدوان التدميري ذلك العدوان الذي يبلغ من الشدة ما يعطل قدرة الأفراد عن الامتثال للمشروعية الاجتماعية ويدفعهم للبحث عن مبرر زائف يتضمن في ذلك الفهم المنحرف للعقيدة الدينية أو على الأقل ذلك التطبيق المنحرف لها»^(١).

أما عن البناء السيكولوجي للجماعات المنحرفة المتطرفة فهي تنشأ أساساً كرد فعل للشعور بالوحدة والعزلة والضعف الفردي وقلّة الحيلة في مواجهة عالم معاد في المقام الأول إنها تهدف إلى احلال (we نحن) في مقابل الذات الفردية الهشة وتنشأ هذه الجماعات المغلقة كرد فعل للشعور بالاغتراب وفقدان الهوية واختلاطها وهذه الجماعات تجذب أعداداً كبيرة من المراهقين الشباب حيث يكونون أكثر فئات المجتمع حساسية وتأثراً بما يموج به المجتمع من تيارات وتحولات شاملة .

٢ الظروف الاجتماعية العالمية والمحلية الممهدة لمثل هذه

الحركات : إن البيئة الاجتماعية تؤثر تأثيراً مباشراً في الأفكار ومآلاتها لذلك الظروف الاجتماعية من التفكك المجتمعي وعدم الترابط وبعض أساليب الكبت التي تعيشها بعض المجتمعات لا شك أنها من أسباب ظهور التطرف وهناك قسوة للظروف الاجتماعية من أزمات اسكان ونقل ومواصلات وغذاء وتضخم وارتفاع الأسعار ووطأة وقعت على الطبقات الفقيرة الثابتة الدخل في الوقت الذي برزت فيه طبقة ثرية جديدة استهلاكتها واضح .

٣ الإطار الثقافي :

يتمثل في التناقض بين عالم القيم التقليدية وعالم القيم الحديثة والتي تجدها عندما يضطر الشباب في حال الدراسة فيغادر القرية إلى المدينة فيجد الفارق كبيراً ، وكذلك التربية الأسرية ونمط التنشئة الأسرية والمدرسية والجامعية متغير فاعل في خلق التطرف فهو نمط أبوي تسلطي من الأعلى هو الاب على

١- المرجع السابق، ج١، ١٦٧.

الأدنى وهو الابن دون مجال يذكر حول النقاش والحوار الواعي .

٤ **الإطار السياسي** : ويكون بغياب الحوار العقلي الواعي بين الحاكم والمحكوم وكذلك سيطرة القهر والاستبداد على أسلوب التعامل الأول مع الثاني , وهذا الذي قامت به القيادة السياسية خلال الخمسينيات والستينات يقول في ذلك الدكتور كمال المنوفي : « لقد لجأت القيادة السياسية خلال الخمسينيات والستينات إلى أسلوب القوة في التعامل مع الخصوم السياسيين الفعليين والمحتملين للنظام الجديد بما فيهم الإخوان المسلمون وزجت بهم في المعتقلات وهناك نبتت أفكار دينية متطرفة وممسوخة ظلت تطارد الإخوان بعد اطلاق سراحهم بل إن الوان التعذيب التي تعرضوا جعلتهم حانقين على النظام برمته قيادة ومؤسسات وسياسات وبرغم أن القيادة السياسية في السبعينات رفعت شعارات الديمقراطية وسيادة القانون ودولة المؤسسات إلا إن الكبت السياسي ظل هو القاعدة العامة والحرية هي الاستثناء فالرأي الآخر محظور إلا فيما ندر ونقد الحاكم بذاءة والمعارضة السياسية غير شريفة وتطويع الإرادة الشعبية من خلال الاستفتاء لتكبييل الحريات أمر مبرر بدعوى أن الديمقراطية لها أنياب وأظافر بل لقد انتهى الأمر بالحاكم إلى استخدام أداة الاعتقال وهو الشيء الذي طالما تفاخر أنه ألغاه إن هذا القهر السياسي خليق بتغيب العقل وبذر بذور التطرف فالجماعات الدينية وقد وجدت نفسها مواجهة بسلطة قاهرة عمدت إلى العنف إن التعامل بين السلطة والجماعات لم يحكمه منطق العقل بإزاء العقل , وإنما منطق القوة بإزاء القوة ..»^(١)

٥ وهناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى ظهور ونشأة الجماعات الإرهابية والمتطرفة نجلها هاهنا^(٢)

- اسباب فكرية كثيرة منها :

● الاختراق الثقافي والفوضى الخلافة الهدامة , وعدم الوعي بفقده

١- كمال المنوفي : الحركات الدينية المتطرفة : ضمن كتاب « المتشددون المحدثون دراسة لحركات اسلامية معاصرة » ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ .
٢- انظر محمد محمد داود : لماذا أنا إرهابي ؟ ولماذا أنت كافر ؟ ، دار نهضة مصر - القاهرة ، ايداع ٢١٣٦٠ / ٢٠١٦م .

مقاصد الشريعة بشكل عام ، وعدم الوعي بمقاصد الجهاد وحقيقة معناه ، والفهم الخاطئ لتصور الكتاب والسنة ، وإهمال فقه الواقع ، وإهمال فقه الأولويات ، وغياب التفكير العلمي ، وضعف الدراسات العلمية والدينية وتنازعهما .

تجديد الخطاب الدعوي ومواجهة الانحراف الفكري (الخطوات العلمية والعملية) :-

- **في مجال تصحيح الفكر** : معالجة تلك الأفكار ونقدها ونقضها والرد عليها بدون تسلط أو قهر .

- **في المجال السياسي** : وذلك بإعطاء أنصار الجماعات المتطرفة والفكر الديني المنحرف بوابة لإبداء الرأي وفي ذلك يقول دكتور محمود عبد الفضيل : « لابد من العمل على إنهاء حالة الاغتراب السياسي لأنصار الفكر الديني المتطرف عن طريق إعطاء منابر علمية لهم للعمل السياسي وطرح أفكارهم للجمهور حتى يتخلصوا من عقدة « الاضطهاد » أو « الاستضعاف » السياسي إذ إنه في غياب الديمقراطية وحرية الكلمة والاجتماع يلجأ الشباب وأنصار الفكر الديني المتطرف إلى العزلة والاغتراب السياسي ... »^(١)

- **في المجال الاجتماعي والاقتصادي** : وذلك يكون بالعمل على تصحيح التناقضات الصارخة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلى رأسها ذلك الانفصام بين الأجر والعمل المنتج ، وبين حجم التضحية ومقدار الإثابة فمناخ السخط والظلم الاجتماعي هو الذي يولد شعوراً متزايداً بالإحباط لدى الشباب المتعلم الذي ينحدر من أصول اجتماعية متواضعة فلا يجد أمامه إلا أبواباً مسدودة ضد آماله وكذلك غياب العدالة التوزيعية في الثروات والدخول والسلطة وهذا كله يولد^(١) الرفض والعنف والتمرد .

١- محمود عبد الفضيل : ظاهرة التطرف الإسلامي الحذر ومناهج العلاج ، ضمن كتاب المتشددون المحدثون ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .
٢- انظر المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله على تمام نعمته وفضله وتوفيقه ومنته أن أعانني على إتمام هذا البحث وانهاؤه والله أرجو أن ينفعني بما كتبت وأن يغفر لي الزلل والخطأ إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير وفي عجز هذا البحث ومختمه أقدم أهم النتائج المتحصلة فيه :

أولاً: كشف البحث خطورة أمر الدعوة الجلل وحاجة الأمة للتمسك بها

ثانياً: أظهر البحث مصطلحات الدراسة وأزال الالتباس الواع عليها من سوء الفهم لتلك الاصطلاحات مع تسور المنحرفين محرابها وهذه المصطلحات هي التجديد والفكر والتطرف

ثالثاً: أبان البحث عن أغراض بعض المنحرفين المتحللين من قيود الشرح نحو خطابهم التجديدي .

رابعاً: كشف البحث عن أنواع من الخطابات الرسمية وغير الرسمية وعن مناهجها في تعاطي الدعوة والخطاب

خامساً: أظهر البحث ضرورة التجديد للخطاب الدعوي وذلك لطبيعة ذاتية الشريعة التجديدية

سادساً: أبان البحث أنواعاً من التجديد المقبول والمرفوض .

سابعاً: كشف البحث عن أزمة يعيشها الخطاب الدعوي المعاصر وحاول حلها .

ثامناً: جلى البحث أساليب التطرف والانحراف الفكري .

الحادي عشر: عرض البحث لمشكلة التطرف الاجتماعية والسيكلوجية والاقتصادية والثقافية بما أبان أسس هذا الانحراف الفكري .



التوصيات

- أولاً:** إقامة منصات إعلامية تختص بالردود على الانحرافات الفكرية .
- ثانياً:** تخصيص عمود أو دوريات في مجلات علمية شرعية لمناقشة قضايا التجديد الدعوي للخطاب .
- رابعاً:** متابعة الأئمة بالكتب المؤصلة للقضايا العقدية وقضايا الانحراف الفكري .



قائمة بأهم المصادر والمراجع

- أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، دار الكتاب المصري - القاهرة ، ط ٢٠٧٤هـ / ١٩٨٧م
- ابراهيم صلاح الهدهد : واقع الخطاب الديني المعاصر مقارنة في الوصف والحل ، المنظمة العالمية لخريجي الأزهر ، مركز تنفيذ الفكر المتطرف ، التقييم الدولي / ١ - ٣ - ٨٥٤٦٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ ،
- أنور الجندي : أصالة الفكر العربي الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ، دار الصحوة للنشر ، ط ٢٠١٣هـ / ١٩٩٣م .
- بول فيندلي : كفى صمتا مواجهة تصورات أمريكا عن الإسلام ، ت/ عادل خليفة ، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات ، ٢٠٠٥ م
- جعفر عبد السلام : التجديد في الفكر الإسلامي ، رابطة الجامعات الإسلامية ، إيداع ٩١٧٩ / ٢٠٠٨م ، العدد ٢٢
- عزت سيد اسماعيل : سيكولوجيا التطرف والارهاب ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ، الحولية السادسة عشرة ، ١٤١٦هـ / ١٤١٧ ، الرسالة العشرة بعد المائة ١٩٩٥ - ١٩٩٦م
- ابن أبي العز الحنفي : شرح الطحاوية ، ت/ احمد محمد شاكر ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية ، ١٨٠٤١٢هـ / ايداع : ١٨٠٤١٢
- فرج أحمد : السلوك العدواني تحت تأثير المعتقدات الدينية ، ضمن (المتشددون المحدثون دراسة اسلامية معاصرة) اشراف / احمد خليفة ، ت/ سهير لطفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣ ، ايداع / ١٧٨٦ / ٢٠١٣م
- محي الدين عبد الحليم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، دار الرفاعي - الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ايداع ٧٩/٥٢٠١
- محمد الغزالي : مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة) ، مشيخة الأزهر الشريف ، مكتب إحياء التراث الإسلامي ، فهرست الهيئة



- المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ط ٢ ، ١٤٤١ / ٢٠٢٠م
محمد البهي : الإسلام في حياة المسلم ، مكتبة وهبه ، ط ٢ ،
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
- محمد سلام مذكور : التعريف بالشريعة الإسلامية (مدخل الفقه الإسلامي) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
 - محمد أبو سعده : الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي ، ط ٢ - القاهرة ، ١٩٩٨م ، ايداع ٩٤ / ٩٩٥٨
 - محمد محمد داود : لماذا أنا إرهابي ؟ ولماذا أنت كافر ؟ ، دار نهضة مصر - القاهرة ، ايداع ٢١٣٦٠ / ٢٠١٦م .
 - محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، ط ١٩ ، ٢٠٠٧ ، ايداع ١٨٧٧٩ / ٢٠٠٢م
 - نجلاء محمود المصليحي : الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مطابع الأهرام - ايداع ٢٠٦٦٧ / ٢٠٠٩م ،
 - يمنى الخولي : أمين الخولي ، الابعاد الفلسفية للتجديد ونص « كتاب الخير » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ايداع ٢٣٠٣٤ / ٢٠١٧م ، ط ١ ٢٠١٧م